٥٥٤

554

دار هـ. النحاس

HARLEQUIN

www.elromancia.com

مرمورية

بريق عينيه

بيبر آدامز

بريق عينيه

بيبر آدامز

بعد عشرين سنة على نفيه من حياة ابنه، استغنى دانيال لوكاس عن الابوة. ثم اكتشف انه اصبح جداً! ظهرت جيني ماهيو، زوجة ابنه الذي لا يعرفها من قبل ابداً، وبين ذراعيها حفيده الحبيب آملة باعادة الصلة بينه وبين عائلته . مع ان جيني ارادت مشاركة دان في عائلتها لكن شقيقتها الجميلة ماغي كانت رافضة لذلك.

ما كانت ماغي لتسمح لدان بالعودة ليكون جزءاً من عائلتها الا اذا اوضح ماضيه. لماذا هجر ابنه؟ مع ان ماغي سمعت طرفاً واحداً من الحكاية الا انها خشيت سماع الطرف الاخر. لأنه بحال كان دان الرجل المحب حقاً الذي يبدو عليه فهو قد يسرق عائلتها وقلبها ايضاً، فهو أكثر من مجرد رجل، انه أب رائع.

سوريا: ٦٠ ل.س. – البحرين: ١ دينار – قطر: ١٠ دراهم – السعودية: [illegible] دراهم – الأردن: ١,٥ دينار – المغرب: ٨ درهم مغربي – تونس: ٢ دينار

بريق عينيه...

«لا احاول اخذ مكانك لدى ماتيو يا ماغي. هناك متسع لنا نحن الاثنين في حياة حفيدي.»

«ماذا سيحدث حين تزول هالة فرحك كونك جداً وتعود إلى اشغالك ولا تجد الوقت الكافي للقيام بمسؤولية الجد؟»

«سأجد دوماً الوقت لحفيدي.»

«كما وجدت الوقت لابنك؟ لا اريد تعريض ماتيو لأي ألم.»

كاد دان ان يشرح ما الذي حدث قبل سنوات طويلة، لكن في النهاية، كانت كل الاسباب مجرد ذرائع وحجج واهية، وادرك ان ماغي ليست مستعدة لفهم ذلك.

٥٥٤

خلوب

khouloub Abir 554

www.elromancia.com

بريق عينيه...

بسيير آدامز

دار
مؤسسة النحاس
للطبع و النشر و التوزيع
بيروت - لبنان

الفصل الأول

«هل أنت دانيال لوكاس؟»

وقفت امرأة شابة لم يسبق لدان أن رآها على عتبة منزله وبين ذراعيها طفل صغير.

«أجل.» قال دون ان يتحرك من مكانه فيما هواء تكساس البارد يلفحه. انتظر بصبر نطق الشابة بما تريد، لكنها ظلت صامتة لبضع ثوان وتساءل إن كانت زبونة ثرية تقصده بعمل ما. في هذا الصباح البارد شاهد سيارة قديمة متوقفة امام منزله واحدهم بداخلها. ألقى نظرة أخرى على الفتاة أمامه، على معطفها الرقيق وحذائها الرخيص وقرر انها بالتأكيد ليست زبونة ثرية. فبحال ارادته ان يكون محاميها، فلا شك ان ذلك سيتم عبر المساعدة القانونية.

«بماذا يمكنني مساعدتك أيتها الشابة؟»

صححت الشابة من وضعية حملها للطفل وحدقت بدان بفضول، ثم قالت مبتسمة: «لا تبدو كبيراً كفاية بالسن لتكون والد غاري.» ذهل دان لذكر ابنه الذي لم يعرفه، واصبح فوراً متشككاً بالشابة وبنواياها.

«كنت مراهقاً حين ولد.» شرح دان، لقد كان في التاسعة عشر من عمره حين ولد طفله وجعلته زوجته السابقة والداً.

احتضنت الطفل بيد وبيدها الأخرى ابعدت خصلات شعرها البنية عن وجهها قبل ان تقول: «انا سعيدة بلقائي أخيراً بك.»

حان دور دان الآن ليحدق بالشابة التي أمامه، لم تكن قد تجاوزت العشرين من عمرها، بدا الطفل على ذراعها عبء ثقيل على جسدها الرشيق لهذا كانت تغير طريقة حمله على الدوام، ابتسامتها المشرقة كانت تضاهي ابتسامة الطفل. اصول اللياقة تفرض عليه دعوتهما إلى الداخل، لكن ظل دان بانتظار المزيد من الشرح منها. فبعد كل شيء ما دامت تعرف غاري كفاية لتعرف انه والده فعليها الادراك انها في حمى الأعداء.

«أنا جيني.» قالت وكأن الاسم وحده كفيلاً بتمييزها.

«سررت بلقائك يا جيني. لكن ان كنت تبحثين عن غاري، فقد جئت إلى المكان الخاطىء.»

كانت المرارة في نبرة صوته، تُظهر أن أكثر ما يندم عليه في حياته، هو عدم وجود اي علاقة بينه وبين ابنه.

ردت الفتاة برقة: «لا ابحث عن غاري.»

«رغم ان السؤال قد يبدو فظاً، لكن لو سمحت لماذا انت هنا؟»

رفعت رأسها وشدت ذراعيها على الطفل وكأنها تدافع عن حقه، قائلة: «ظننت ان الوقت قد حان لك لمقابلة حفيدك.»

نظر دان إليها وسأل: «من؟»

ادارت الطفل حتى يرى دان وجهه واخذت نفساً عميقاً ثم قالت: «حفيدك، هذا هو ماثيو.»

دخلت جيني المنزل واغلق هو الباب خلفها. خانته الكلمات فنظر إلى الطفل كمصدر الهام. كانت خصلات من الشعر البني الحريري تظهر من تحت قبعته الزرقاء، شعر داكن تماماً كعينيه البنيتين الواسعتين اللتين كانتا تنظران اليه بفضول. انهما عينا آل لوكاس.

بالكاد كان دان قادراً على رؤية الأنف الدقيق والوجنات الممتلئة، فالطفل كان يلعب بعضاضة بلاستيكية ملوّنة يمسكها بيده. لكن بدا الطفل الصغير مألوفاً، يبدو شبيها بغاري كما يذكر دان حين كان بمثل سنه قبل سنوات كثيرة.

اشعلت الذكرى نبضات قلبه فيما تلاقت نظراتهما، ابعد الطفل اللعبة البلاستيكية عن فمه وقدمها بسخاء لدان، وارتسمت ضحكة واسعة على وجهه اظهرت بضع اسنان بالداخل.

تناولت جيني اللعبة منه ومسحت ذقنه، ثم قبلت الطفل على أنفه قائلة: «هذا جدّك لوكاس يا ماثيو.»

«بابا.» تمتم الطفل وهو لايزال يضحك.

«انه يتكلم وعمره لم يتعد السنة، اترغب بحمله؟»

تناول الطفل منها لأنه لم يكن امامه اي خيار آخر، هو لم يتناوله لأن موجة من حنان الجد اجتاحته، فهو لا يعرف ماهية تلك المشاعر اصلاً، لكن هذا يحتاج لبعض الوقت للاعتياد عليه، لم تتسنَ له الفرصة ليكون والداً فكيف ان يكون جداً؟ كان في التاسعة والثلاثين من العمر فقط.

لم ينزعج ماثيو لانتقاله إلى احضان شخص غريب كما يبدو. فقط ظل يضحك ويثرثر بلغته الطفولية. في الواقع كان صغيراً لدرجة شعر دان بعدم الارتياح لحمله مخافة ان يؤذيه، لعلها بذلة الثلج المنتفخة التي يرتديها هي من جعلته يبدو ثقيل الوزن. «دادا.» تمتم الطفل.

«ليس دادا.» صححت جيني وتابعت برقة: «بل بابا، انت وغاري متشابهان كثيراً لهذا يشعر ماثيو بالارتباك.»

«نحن كذلك حقاً؟» عرف دان ان سؤاله كان تافهاً، لكن آخر مرة شاهد فيها ابنه كان الأخير مجرد طفل صغير.

www.elromancia.com

طرق احدهم الباب بقوة وسارعت جيني للقول: «هل تمانع بدخول شقيقتي؟ الطقس شديد البرودة بالخارج والارجح ان لديك العديد من الأسئلة.»

تساءل دان عن الدور الذي تلعبه الشقيقة بهذه الدراما الصغيرة. وقبل ان يجد الجواب فتح الباب ودخلت امرأة صهباء الشعر، دون ان ترمي دان بأي نظرة، أخذت بتعنيف جيني بصوت مبحوح تخنقه العاطفة.

«قلت لك يا جيني ان لا تدخلي المنزل.»

اومأت جيني برأسها وقالت هامسة: «كوني هادئة يا ماغي لمرة واحدة في حياتك واتركي دفة الحديث لي. لقد وعدتني ان تكوني مهذبة.»

«لم اعدك بشيء، قلت لك انني سانتظرك في السيارة طالما بقيت بالخارج.» حينها رمت المرأة دان بنظرة واضحة المعنى. فإن حاول ايذاء جيني بكلمة أو بتصرف ما، فسيكون عليه تحمل النتيجة. كان دان ممتعضاً من تلك النظرة، فهو لم يكن يستحقها منها، كما وأنه لن يصمت عنها.

رغم إرادته، شعر دان بموجة تغمره وتثيره، لكنه امتعض من نفسه. هو لم يكن معتاداً على الشعور بالإنزعاج بسبب أي شخص. خاصة بسبب غريبة اقتحمت منزله بشعرها المتطاير ونظراتها المتهمة.

ابتسمت جيني لدان: «سيد لوكاس هذه شقيقتي ماغي هيو.» واستدارت نحو شقيقتها وتابعت: «هذا والد غاري دانيال لوكاس يا ماغي.» تبادل الاثنان النظرات، وقبل ان ينطق دان بأي كلمة امسكت ماغي ذراع شقيقتها الصغرى.

«لنغادر يا جيني.» قالت وهي تحدق بغضب بدان:

«أخبرتها ان مجيئها إلى هنا خطأ. فور ذكرها لخطتها ادركت انها فكرة سيئة. لكن جيني من النوع العنيد المندفع.»

أعاد الطفل بسرعة لجيني كردة فعل اولية، قادهم إلى غرفة الجلوس، ثم غادر إلى المطبخ معتذراً لتحضير القهوة، ولكي يفكر بهدوء. فيما كان يقوم بذلك، فكر ان حياته حتى هذا الصباح كانت عادية ومريحة.

العمل جيد، نسبة قضايا الطلاق بارتفاع مضطرد، وهو يتمتع بشهرة افضل محام للطلاق في الولاية بأكملها، وقد اضاف مؤخراً محامياً مبتدئاً إلى المكتب. حياته الشخصية ان صح التعبير، كانت شبه معدومة. فهو يقضي معظم وقته بالعمل الذي يشغله كلياً ولا يشعره بالوحدة الا نادراً.

لكن حجم منزله كان يشعره احياناً بمدى فراغ حياته. لا ارتباطات عائلية لديه. رحل والده عندما كان دان في السادسة عشر. ولم تتخط والدته ذلك فماتت بعد ذلك بسنوات قليلة.

كان في سنته الجامعية الأولى حين وقع بغرام ابنة تاجر نفط ثري، تزوجها وهرب معها لعدم موافقة والدها، اعترض والدها على دان واجبر دورين على الاختيار بين زوجها الجديد وبين ثروة العائلة، بسبب دلالها وعدم شعورها بالأمان هجرته وعادت إلى كنف عائلتها قبل ان تنجب.

تأكد محامو والدها من عدم حصول دان الا على بعض الحقوق الأبوية بخصوص رؤية الطفل، ولم يكن هو يملك المال الكافي لمحاربتهم، في البداية حاول القيام بواجباته الأبوية المقتصرة على زيارات محددة إلى قصر غاريت حيث يرى ابنه ويلاعبه تحت مراقبة والد دورين العجوز، لكن وتحت الحاح والديها، بدأت دورين تلفق له الاعذار

لمنعه من معاودة هذه الزيارات القصيرة. اصيب غاري بالانفلونزا، لذا لم يكن من الملائم ان يخرج غاري من المنزل بصحبة جديه. وبيأس بدأ دان يتسلل إلى المنزل كي يسترق النظر إلى الطفل حين تصطحبه مربيته إلى الحديقة، بدا وكأنه كلما أصرّ على رؤية ابنه الذي يشبهه كثيراً، كلما ازداد إصرار نورين على منعه من ذلك.

الفرق المادي بينهما، جعل من الصعب اكثر فأكثر على دان ان يكون والداً لابنه، لذا فقد تابع دراسته في كلية الحقوق وتابع حياته لكنه لم ينس ابداً غاري، وحين تخرج وصار يملك المزيد من الوقت والمال كانت دورين قد تزوجت ثانية ووضعت الطفل في مدرسة داخلية.

كانت تصر دوما على ان غاري سعيد، وسيرتبك بحال قابل الوالد الذي لا يعرفه كما كانت تقول، لديه زوج والدته الآن، وان أراد دان حقاً الأفضل لابنه فالأحرى به ان يتركه وشأنه.

كانت تقول ان الجد غاريت هو المثل الأعلى الملائم للطفل، لكن كانت الشكوك تنتاب دان بهذا الشأن. فأندرسون غاريت لم يكن الا وغداً بدأ من الصفر وبحلم كبير، جنى الملايين من تجارة النفط. كان بخيلاً كفاية لتوسيع ثروته دون المس برأس المال، كان عديم الأخلاق يخدع الناس. فامتعض دان لترعرع ابنه في ظل هذا التأثير السلبي، ومع الوقت خفت حدة حاجته ليكون والدا لابنه. فقد أسس دان شركة المحاماة خاصته والمتخصصة بقضايا حضانة الأطفال، كان مصمماً على منع حرمان أي والد آخر من رعاية اطفاله.

آخر محاولاته للمصالحة كانت عشية تخرّج غاري من الثانوية. ارسل له دان المال الكافي لتعليمه الجامعي، لكن

لم يتمّ قبض الشيك أبداً، وهكذا كانت الرسالة واضحة وجلية.

حين عاد بالقهوة، كانت جيني جالسة على حافة الكنبة بعصبية حاملة ماثيو بين ذراعيها، وماغي واقفة امام النافذة وذراعاها خلف ظهرها، انبأته النظرة التي على وجهها بعزمها على إبعاد شقيقتها وطفلها عن مخالب دان الشريرة.

وضع الصينية على الطاولة وجلس على طرف الكنبة.

«عليك ان تغفر لماغي، لطالما كانت الوالدة الحنونة الحامية لي، قد تبدو لك لئيمة، لكن قلبها بالغ الطيبة.»

جلست ماغي قرب شقيقتها وقالت: «جيني.» كان التعنيف في صوتها مغلفاً بالحب.

كانت نبرة ماغي باردة حين تابعت: «انا متأكدة ان السيد لوكاس رجلاً كثير الانشغال ولا يفترض بنا اخذ المزيد من وقته.»

ابتسمت جيني معتذرة لدان وقالت: «لعلك تتساءل عن سبب وجودنا هنا.»

رشف من قهوته دون ان يعلق، لكنه قال بعد ذلك: «بوسعك تصور وقع المفاجأة عليّ.»

طأطأت برأسها موافقة: «بالطبع، أعرف تماماً الصدمة التي تلقيتها بظهورنا المفاجيء على عتبة دارك. دعني اضع الصغير أرضاً وبعدها سأبدأ الشرح.»

خلعت سترة الطفل السميكة ووضعته على الأرض ثم اعطته لعبة كانت معها.

اتكأت ماغي بظهرها على الكنبة ووضعت ساقاً على ساق مما أوضح عدم نيتها الاشتراك بهذا النقاش، جلبت

حركتها انتباه دان الذي لاحظ تناسق جسدها، كان محقاً، لديها ذاك الشكل الذي يدير عقل اي رجل لكنها في نفس الوقت، تعاني من مشكلة حسن التصرف.

عبثت جيني بحقيبتها وتناولت ورقة اعطتها لدان قائلة:

«بما انك لا تعرف شيئاً عنا، فقد احضرت لك شهادة مولد ماثيو.»

نظر دان إلى الورقة وادرك انها رسمية، الام جنيفر هيو لوكاس. الأب: غاريت آموس لوكاس، لم يؤخذ رأي دان بشأن اسم غاري فقد اسمته تبعا لرأيها الذاتي، اعادها لجيني لكن ليس قبل ان يلحظ الاسم الكامل لماثيو، ماثيو غاريت لوكاس.

«اظن غاري لا يعلم بمجيئك إلى هنا.»

اومأت جيني برأسها نافية: «لا، انه لا يعلم.»

تدخلت ماغي قائلة: «سيجن جنونه اذا ما علم.» وكان دان متأكداً من ذلك.

قالت جيني مبتسمة: «انت لست كما توقعت ابداً، آسفة، قصدت بذلك كإطراء.»

«شكراً لك.»

كان مسروراً انها لا تعتقده بالسوء الذي أظهره عليه غاري ودورين دون شك.

«أعرف انه كان من الخطأ مجيئنا إلى هنا بهذه الطريقة خاصة بمثل هذه الساعة من الصباح الباكر. لكن اسنان ماثيو جعلته يبكي طيلة الليل وطلب منا صاحب النزل الرحيل، وكنت اخشى الاتصال بك لاعلامك بمجيئنا.»

«خشيت؟»

«لم اكن واثقة من رغبتك باستقبالنا. اقصد بالنسبة لما مضى.»

«أنا ادرك تماماً عدائية غاري نحوي، آمل ان شعورك نحوي ليس كذلك ايضاً.» قال دان بهدوء.

«جيني سريعة بوهب ثقتها للآخرين وهذا غير مفيد لها احياناً.» سارعت ماغي للقول وطرق قدمها الرتيب على الأرض يخبر دان عن نفاد صبرها لانتهاء الحديث كي تغادر هذا المكان.

قالت جيني: «لا اظنك سيئاً إلى ذلك الحدّ. وهذا هو السبب الذي دفعني للمجيء لأقابلك واحكم بنفسي، فأنا لا احبذ الحقد العائلي. الحقد والضغينة تؤذيان الناس ولا تفيدهم بشيء.»

اعجب دان بزوجة ابنه كما وأحب صراحتها.

سألها: «لم لا تطلعيني على السبب المباشر لزيارتك العاجلة هذه؟»

«بعد ان اصبحت هنا، لا اعرف من اين ابدأ.» قالت جيني ذلك بارتباك.

«ما رأيك لو تبدأين من البداية.» حثها دان بلطف وهو يرى ابتسامتها الصادقة الحلوة. ولم يصعب على دان معرفة سبب وقوع غاري بحب هذه الفتاة.

«تقابلت وغاري في الجامعة، كنت في السنة الأولى وهو في الثانية. احبّنا بعضنا وتزوجنا بعد شهرين فقط. حملت على الفور لكننا لم نعلم ذلك الا لاحقاً.»

قال: «علاقة حب عاصف سريعة.»

«اجل، كان ذلك رومانسياً جداً.» قالت جيني بابتسام: «بعكس غاري كنت اعمل كي اؤمن دراستي في الجامعة، وحين

علمنا بحملي بماثيو، قرّرت ترك الجامعة والعمل بدوام كامل لحين انتهاء غاري من دراسته. لكنه لم يوافقني على ذلك. يا لكبريائه، لم يعتقد انه من العدل ان أضحي بدراستي لأجل دراسته. وقد تدبرنا أمرنا بمصروفه وبراتبي.»

علق دان: «هذا تفكير عاقل منه.»

قطبت جيني وقالت: «مشكلتنا الوحيدة كانت بإبقاء زواجنا سراً عن والدته خوفاً من ان تقطع عنه المصروف بحال عرفت ذلك.»

«من الواضح ان دورين، لم تتغير كثيراً عما كانت عليه في الماضي.»

«لا علم لي بهذا الشأن، لكن حين اكتشفت أمر زواجنا قطعت عنه المصروف كلياً.»

الآن بدأت الأمور تتضح، لا شك ان المال هو دافع هذه الزيارة، فسأل دان: «وكيف اكتشفت ذلك.»

«ماما.» ردّد ماثيو وهو يرمي اللعبة قرب قدميها.

ابتسمت جيني للطفل وداعبت خده بحنان قائلة: «حدث ذلك قبل ولادة ماثيو بأيام قليلة، جاءت إلى الشقة فجأة، كان غاري يستحم فيما كنت انا مستلقية على الكنبة، سمعت صوت جرس الباب فنهضت لأفتحه، ولم يخطر ببالي النظر عبر المنظار.»

«بابا.» تمتم ماثيو مجدداً.

انحنت جيني ومسحت ذقنه بالمنديل: «بسبب ظهور اسنانه يسيل لعابه كثيراً، آمل ان لا يكون قد افسد شيئاً.»

«لم يفسد شيئاً.» ثم حمل الطفل واجلسه في حضنه، داعبت أنفه رائحة عطر الطفل ومرة جديدة شعر بخسارته

لابنه، وضياع العديد من السنوات سدى. نظر إلى جيني وركز على ما كانت تقوله.

«كانت المرأة كتلة من الاعصاب المتفجرة بخروج غاري من الحمام. ظننتها على وشك الانهيار فهدأت من روعها واخبرتها اننا متزوجان. هذا الاعتراف وحده زاد الأمور سوءاً، تكلمت كيف تزوجت هي نفسها من شاب يافع. اتعرف انها تزوجت وتطلقت عدة مرات؟»

«لم اكن اتابع سجل زواج دورين، لكن كما تعلمين تصلني الاخبار ضمن مجال عملي.»

«حسناً، اخبرت هذا الرجل ان ابنها في مدرسة داخلية لكنها لم تخبره انها مدرسة ثانوية. تعتقد ماغي انها تكره فكرة ان تصبح جدة اكثر من أي شيء آخر.»

ابتسم دان وقال: «لطالما كانت دورين هكذا.»

هزت جيني كتفيها وتابعت: «ظلت تصرخ وتصيح وتتوسل وكأن حياتها انتهت تلك الليلة، عندما لم ينجح ذلك، هدّدت غاري بقطع المصروف عنه اذا لم يلغِ زواجنا.»

سأل دان بلهفة: «وماذا فعل غاري؟»

«هدّأ من روعها، اعتذر منها ثم جادلها. لكنها كانت صارمة ثم أشار إلى انه لن يتمكن من دخول كلية الحقوق دون مساعدتها.»

سأل دان بذهول: «كلية الحقوق؟» على ما يبدو ان ابنه يسير على خطاه.

ابتسمت جيني وظهرت غمازة جذابة على خديها.

«أجل، القانون الجنائي، يريد ان يصبح مثل المحامي بيري ماسون الشهير.»

«وماذا قالت دورين حينها؟»

«قالت انها لا تهتم لذلك. فإن كان رجلاً متمكناً لإنشاء عائلة، فليكن اذاً رجلاً بمعنى الكلمة أيضاً للاهتمام بتلك العائلة دون مساعدتها أو هذا ما كان فحوى كلامها.»

«هذه هي دورين. انها لا تحتمل معارضة أحد لها. وهذا ناتج عن كونها الابنة الوحيدة المدللة لتاجر نفط ثري، كانت فتاة لامعة تعرف كيف تتحكم بالناس وتسيّرهم على هواها.» قال دان ذلك والمرارة في نبرة صوته. الكلام الذي تتحدث به جيني أعاد إلى تفكيره ذكريات حزينة.

«اخبرت غاري ان عليه الاختيار بينها وبيني.» شعر دان بالخوف مما قد يسمعه لاحقاً، فهل كان ابنه مدللاً ضعيف الشخصية ليدع الطمع والجشع يبعدانه عن جيني وماثيو؟

«حسناً؟»

قالت جيني بنبرة المنتصر: «لقد اختارني ورفضها، ولم يرها منذ ذلك الحين.»

تدخلت ماغي هنا لتقول: «حين سمعت بهذا تحسن رأيي بغاري بعض الشيء.»

«نقطة لصالحه لم ينلها بسهولة كما هو واضح. أخيراً تناولت دورين بعضاً من جزائها.»

«ارتدى غاري ملابسه وأعادها إلى المنزل لأنها لم تكن بحالة تسمح لها بالقيادة، تغيّب لساعات وبدأت اشعر بالقلق. اتصلت بماغي لخوفي من ان دورين وعائلتها قد تقنعانه بتغيير رأيه. لم اكن متأكدة ان كان سيعود أم لا. وحين عاد إلى الشقة كنت شديدة الاضطراب ووقع أول خلاف بيننا تلك الليلة.»

قال دان بصدق: «ليته لجأ إليّ حينها.»

نظرت ماغي إليه غير مصدقة، لكن جيني لم تعلّق على ذلك وتابعت: «تركت المدرسة واخذت اجازة لثلاثة اسابيع بسبب ولادة ماثيو. وحين عدت للعمل وافق رئيسي على اعطائي دوام عمل كامل. لكن حتى مع تأميني الطبي لم نستطع دفع تكاليف مصاريف المستشفى والطبيب التي تكدست. اضطررنا للانتقال إلى شقة ايجارها اقل من الأولى كي نتمكن من دفع المصاريف الشهرية. أراد غاري ترك الدراسة وايجاد عملاً بدوره لكني لم اسمح له بذلك أبداً، فقد اصبح على ابواب التخرّج. انه بالغ الذكاء يا سيد لوكاس، ستكون فخوراً به حقاً، لقد التحق ببرنامج مكثف وحاز على درجة شرف بعلاماته المتفوقة، وتخرج اخيراً الربيع الفائت.»

سأل دان: «هل هو في كلية الحقوق الآن؟»

«لا.»

«دادا.» صاح ماثيو: «دادا.»

ربت دان على الظهر اللين فالتصق ماثيو به ووضع رأسه على كتفه.

ناولته جيني لعبته البلاستيكية وقالت: «لثته تؤلمه، ظهور الأسنان الأولى مؤلم جداً.»

بدأ دان يستمتع بالشعور الدافىء لوجود الطفل في حضنه. «ألم تستطيعي اقناع غاري بالبقاء في الجامعة؟»

«وصلت وماغي اخيراً إلى حل معه، وافق على البدء بالفصل الأول في الربيع بحال جمع مبلغاً كافياً لقسط الجامعة ولمصاريفنا اليومية. ولهذا بالضبط ذهب إلى الاسكا.»

«الاسكا؟»

«المال الذي يكسبه هناك يكفينا لسنتين قادمتين، أعيش وماثيو مع ماغي حالياً.»

قطب دان محاولاً تذكر معلومة ذكرتها جيني سابقاً. ثم قال: «لكنك ذكرت شيئاً عن نزل ما؟»

«نسي جار ماغي في الشقة الملاصقة سيجارته مشتعلة ليلاً فأحرق شقته بأكملها وتسبب بخراب كبير في شقة ماغي قبل ايام قليلة، لذا اضطررنا للانتقال لبعض الوقت حتى يعيدون تجهيزها، وقد نقلتنا شركة التأمين الى نزل إلى ان نجد شقة صغيرة أخرى.»

شدّ دان على حفيده وكأنه يحميه ثم سأل: «هل تعرض أحد للأذى؟»

اجابت جيني: «لا، لكن الحريق خرب المواسير وخلف الكثير من الدخان. كانت ماغي في الشقة مع ماثيو واخرجته فور شعورها بذلك. يا للفوضى التي حدثت هناك! اضطررنا لترك كل شيء لشركة إعادة التأهيل باستثناء ملابسنا التي علينا وبعودتي إلى الشقة من العمل كانت ماغي قد استأجرت اثاث طفل جديد لماثيو واشترت اغراض جديدة وبعض الملابس الجديدة لنا جميعاً.»

«لا بد انك... عملية جداً يا آنسة هيو.» قال دان ذلك وهو يتساءل اكانت زوجة ابنه تحفظ سرّاً، على الأرجح انها لا تفعل.

قالت جيني بحماس: «انها رائعة. انها تجاهد للاعتناء بالآخرين. اظنها اصبحت ممرضة لهذا السبب بالذات، آه، هل اخبرتك انها كانت ممرضة؟»

عنّفتها ماغي بقولها: «توقفي يا جيني. تجعليني أبدو كمرشدة اجتماعية، انك تتكلمين عني وكأني غير موجودة.»

نهضت ماغي وخطت نحوها متابعة: «لنخبر هذا الرجل اخيراً عن سبب اصرارك على المجيء إلى هنا.»

اجابت جيني مبتسمة: «حسناً. كانت ماغي ضد مجيئي منذ البداية، عادة استمع لرأيها لكنني كنت مصممة على رأيي هذه المرة.»

«حيال ماذا؟» سأل دان وكأن ذكائه الفطري في إجازة اليوم.

«اريد جمع الشمل بينك وبين غاري ثانية.»

قال دان بلطف: «هذا لن يحدث.»

قالت ماغي: «اخبرتها بهذا. عرفت انك لن تفعل حتى ولو اراد غاري ذلك.»

شعر دان بضرورة الشرح وهذا شيء لم يسبق له ان فعله.

«حاولت إنشاء علاقة مع غاري، لكنه رفض.»

عارضت جيني قوله: «بل بالطبع يريد، لكن كبرياءه يمنعه.»

«اعرف ذلك.»

قالت جيني: «لماثيو الحق بمعرفة جده. العائلة مهمة جداً، ماغي هي كل ما تبقى من عائلتي وبعد رحيل والده غاري من حياتنا، انت العائلة الوحيدة المتبقية له.»

كان دان يعلم بوفاة والدة دورين قبل سنة لكن حسب علمه لا يزال والدها على قيد الحياة.

«وماذا عن اندرسون غاريت؟»

اومأت جيني برأسها بحزن: «تعرض لنوبة قلبية بعد وفاة زوجته بفترة قصيرة، وهو الآن في مركز للعناية المشددة طويلة الأمد. لا يسعه السير أو التكلم مطولاً لكنه يفهم ما يقوله الناس له. حالته فعلاً حالة مؤثرة.»

«يؤسفني سماع ذلك.» فرغم ما فعله العجوز به الا انه لا يتمنى له المرض.

«تركت جدة غاري له مالاً كثيراً لكنه لن يحصل عليه الا ببلوغه الخامسة والعشرين. في هذه الاثناء هو ليس ممن يجلسون دون عمل بانتظار الثروة المقبلة.»

«هذا ما استنتجته.» قال وهو يشعر ان كل ما يسمعه عن ابنه كان مفاجئاً له، لماذا افترض ان ابنه سيكون مدللاً وانانياً تماماً كما كانت والدته؟

قالت جيني: «الجميع بحاجة للعائلة، ماذا سيحل بماثيو بحال حصول أي سوء لي أو لغاري؟»

عارضتها ماغي فوراً: «لن يحدث لك شيء.»

اصرت جيني بعناد: «لكن ماذا لو حصل؟»

تنهدت ماغي وقالت: «انت تنسين وجودي.»

«اعرف ذلك لكني اريد ان يعرف ماثيو كل عائلته.»

«بوسعنا مناقشة هذه المسألة لاحقاً.» قالت ماغي وهي ترمي دان بنظرة سريعة. «انه ما زال منتظراً معرفة سبب مجيئك.»

«حين كلمت غاري هاتفياً ليلة البارحة بدا محبطاً حول مسألة الاسكا تلك. وأنا اشعر بالقلق.»

«الأمر الهام هو إبقاء غاري في الجامعة.» قالت ماغي بصراحة وهي تضع مجدداً ساقا فوق ساق مجبرة دان على ملاحظة طول قامتها ثانية: «اظنه يشعر بالوحدة بعيداً عن جيني وماثيو.»

دان يعرف كل شيء عن الوحدة هذه: «يسعدني توفير ثمن تذكرة الطائرة لك ولماثيو بحال اردتما الذهاب إلى الاسكا.»

«هذا كرم منك، لكني لا استطيع قبول ذلك.» قالت جيني

وهي تبتسم لشقيقتها: «لكني كنت آمل ان تساعدنا بالحفاظ على اندفاعه بطريقة أخرى.»

«أنا آخر شخص في العالم قد ينصت غاري اليه.» تابع دان بواقعية. «وانا متأكد من رفضه التام لأي مساعدة مالية اعرضها عليه. ارسلت له شيكاً ضخماً لمتابعة دراسته الجامعية لكنه لم يصرفه.»

ظهرت الدهشة على وجه جيني وهتفت: «حقاً؟ لم يذكر لي غاري ذلك مطلقاً، انه ليس طفلاً غنياً فاسداً كما اعتقدته ماغي.»

اجاب دان: «يسرني سماع ذلك لكن بامكاني تحمل تكاليف...»

«بوسعنا تدبر امورنا بطريقتنا الخاصة.» ردت جيني سريعاً: «نحن لا نحتاج إلى مالك.»

«إذن لا اعرف كيف بإمكاني مساعدتكما.»

قالت ماغي فجأة: «نام ماثيو. اتريد ان آخذه منك حتى تتابعا حديثكما؟»

نظر دان إلى الطفل النائم بسلام على ذراعه المتوردة وابتسم برقة قائلاً: «انه بخير. دعيه نائماً.»

اوضحت جيني: «انه طفل جيد وسعيد. انه لا يبكي الا نادراً، فقط حين يتألم بسبب ظهور اسنانه بالطبع، ثم حين اصيب بالتهاب في اذنه، ظل يبكي طيلة الليل، لا عجب ان مدير النزل طردنا، قال ان الأمر ليس شخصياً بل يتعلق بخسارة زبائنه.»

تابعت جيني ثرثرتها وشعر دان بالحزن فجأة فهو لم يعرف ابنه وما كان ليعرف هذا الطفل ايضاً، لولا الظروف التي يمر بها غاري حالياً.

«ماذا تريديني ان افعل؟»

أخذت جيني نفساً عميقاً وقالت: «لا اريد الكثير، دعنا نبقى معك لحين اصلاح شقة ماغي، غاري لا يحبذ فكرة سكننا في نزل. يقول اننا قد نصادف هناك العديد من الاشخاص غير المحببين.»

نظر دان اليها بدهشة وسأل: «تريدون العيش هنا معي؟ انتم الثلاثة؟»

نهضت ماغي عن كرسيها بعنف وقالت: «اخبرتك ان هذه ليست بالفكرة الجيدة، هيا يا جيني لنغادر هذا المكان.»

أعادت جيني شقيقتها الأكبر إلى مقعدها وابتسمت لدان قائلة: «سيكون ذلك لأسبوعين أو اكثر قليلاً، تعيش وحدك في هذا المنزل الكبير، وانا واثقة من اننا لن نزعجك، وستكون هذه فرصة ممتازة لنا لنتعارف اكثر، الا تظن ان الوقت قد حان لذلك؟»

لم يكن دان واثقاً بما يظن، افترض ان ماغي هي جميلة عائلتها وعقلها المدبر لكن الآن لم يعد متأكداً، فلجيني جمالها الخاص أيضاً.

حاولت ماغي التدخل مجدداً، لكن جيني منعتها، وتابعت تكلم دان: «على ماغي البقاء لأنني بحاجة لمساعدتها للاهتمام بماثيو، هي تعمل ليلاً في المستشفى وانا اعمل نهاراً في مكتب للمحاسبة وهكذا نستطيع معاً الاهتمام به والاعتناء بمنزلك هذا.»

نظر دان إلى الغرفة الواسعة حوله وتساءل ما العناية التي تحتاجها، الا تدرك الفتاة ان كل شيء هنا تبعا للطريقة التي يريدها؟ كل شيء يوحي بالهدوء والسكينة.

تابعت جيني بحماس: «ماغي وأنا طاهيتان من الدرجة الأولى وسنكون سعدتين بتحضير طعامك فأنت دون شك تتناول معظم وجباتك خارجاً واعرف تماماً كم متعب هذا.»

ارادت ماغي التدخل ثانية للاعتراض على هذا الكلام، لكن جيني اسكتتها ثانية وتابعت: «في الواقع سيكون الوضع مثالياً، سيتوفر لماغي ولماثيو ولي منزلاً نقيم به، ستحظى انت بتدبير منزلي مجاني وسيتسنى لنا جميعاً الوقت لتوطيد معرفتنا. انها خطة رائعة الا توافقني على ذلك؟»

شعر المحامي اللامع للمرة الأولى في حياته العملية الطويلة بالذهول التام. ليس فقط بعفوية جيني وطفلها الرائع، بل بصراحتها المباشرة. كما وانه كان حذراً قليلاً من امتعاض وعدم موافقة ماغي التي بعكس شقيقتها المتحمسة كانت غير مهتمة لفكرة انتقالها للعيش في منزله.

سأل دان: «ماذا سيقول غاري بشأن ترتيب كهذا؟»

ابتسمت جيني وقالت: «ما لا يعرفه لن يضره، ولحين عودته إلى الوطن نكون قد غادرنا المكان وسنتكتم على الموضوع وما الذي سيكون بمقدوره حينها؟»

اوضح دان بقوله: «سيرغب بمعرفة مكان تواجدك.»

«سأخبره اننا في منزل احد اصدقاء ماغي، وهذه لن تكون كذبة حقيقية لأنني متأكدة انك وماغي ستصبحان صديقين، صحيح؟»

كان متردداً بشأن تورطه في حياة ابنه دون معرفة الأخير بهذا، يبدو هذا مخادعاً وشعور غاري نحوه لا ينقصه أمر كهذا.

«ولِمَ لا تبقيا فعلاً لدى احد اصدقاء ماغي؟» سأل دان ولسان حاله يقول ان لا اصدقاء للصهباء الواضحة العدائية.

ردّت جيني: «عرض علينا العديد من اصدقائها ذلك. لكن لدى معظمهم غرفة اضافية واحدة لن تتسع لشخصين ناضجين ولطفل صغير، لهذا ذهبنا إلى النزل.»

تدخلت ماغي قبل ان تتمكن جيني من منعها.

«اظن المسألة بأكملها غير مناسبة، الأفضل لنا المغادرة فوراً.»

«اوافقك على ذلك لكني لا احبذ فكرة عدم وجود مكان آخر تذهبون إليه.» تململ ماثيو بين ذراعيه وفتح عينيه البنيتين الواسعتين، كان من الصعب على دان التصديق بأن هذا الكائن البشري الصغير هو حفيده، حفيداً من لحمه ودمه. ابتسم له الطفل وادرك انه قد وقع في المصيدة. لعل هذا الصغير هو من سيعيد غاري اليه اخيراً، كانا غريبين قبل نصف ساعة فقط، لكنهما اصبحا الآن عائلته، كيف بإمكانه الإلقاء بعائلته في الشارع؟

نظر دان إلى جيني وقال: «نظراً لما تعرفينه عن شعور غاري نحوي، فمن المثير للدهشة انك لست قلقة حيال نوع الاشخاص الذين قد اكون منهم.»

«اجريت ابحاثي الخاصة.» قالت جيني بصراحتها المعهودة: «تكلمت مع اشخاص يعرفونك. انت محام جيد ويقول الجميع انك رجل نزيه، انت رهيب داخل قاعة المحكمة ومنعزل خارجها، الناس تثق بك، حتى من لا يحبك يثق بك.»

ابتسم سائلاً: «هكذا إذن؟»

ابتسمت متابعة: «لم يقل احد انك بالغ اللطف لكني اعرف

داخلياً انك كذلك، كنت لتطردنا جميعاً من هنا قبل الآن لو كنت بنصف القسوة التي يعتقدك الناس بها.»

لا يعرف دان سواء اكان لطيفاً أم لا، فلم تتسنَ له الفرصة من قبل لمعرفة ذلك.

«اعيش بمفردي. واستمتع بوحدتي.» ثم لاحظ تعبير وجه ماغي الذي يظهر بوضوح اعتقادها برفضه لما تطلبه شقيقتها.

قالت جيني مبتسمة: «سواء أبقينا معك أم لا، اظن الوقت قد حان لماثيو كي يتعرف إلى جده. لقد دهشت لمعرفتي من انك لم تتزوج ثانية.»

«مرة واحدة كانت اكثر من كافية، فأنا اتعلم من اخطائي.»

«قال غاري انه لم يعرف ابداً جديه لوالده، وبأن والدك هجرك ووالدتك.»

«ماتت والدتي قبل ولادة غاري ومكان تواجد أبي جوني لوكاس كان مجهولاً دوماً.»

اومأت ماغي برأسها وقالت: «يبدو ان هناك تقليداً عريقاً لدى كل رجال عائلة لوكاس بمعاملة بعضهما كالغرباء، المسكين ماثيو لا يملك فرصة امام ذلك.»

اعلنت جيني قائلة: «لهذا أتيت إلى هنا. لن ينشأ ابني هكذا.»

حوّل دان كل اهتمامه إلى ماغي وقال: «لا اظن ان هناك أي تقليد لدينا من اي نوع كان.»

كان صوت ماغي حاداً بعض الشيء وهي ترد: «لعل الوقت حان لتغيير ذلك.»

نهض دان وقال: «الأرجح ان غاري يلومني على كل ما حدث بيني وبين والدته، وانا واثق انه سيغضب مني اذا ما علم بأنني أقحمت نفسي في حياة ماثيو، لست واثقاً من انها فكرة جيدة.»

تناولت جيني العاب الطفل ووضعتها داخل حقيبتها.

«أفهم وجهة نظرك. آسفة ما كان عليّ حشرك في الزاوية هكذا، اظنني لم اكن افكر بوضوح.»

اظهرت تنهيدة ماغي ارتياحها لما آلت اليه الأمور، تناولت كيس الحفاضات راغبة بوضوح بمغادرة المكان باقصى سرعة ممكنة قبل ان يتم اقناع جيني بالبقاء.

كان دان لايزال يفكر بما قالته جيني. من الواضح ان مستقبلاً باهراً ينتظر ابنه، لكن ان تخلى عن حلمه بدخول كلية الحقوق فهو لن يكون كما يريد.

«املك المال الوفير، وان سمح لي غاري سأعطيه ما يكفيه لإنهاء دراسته الجامعية.»

قالت جيني بلهجة حاسمة: «هو لن يرضى بذلك.»

«ليعتبره قرضاً يسدده لي ثاينة بعد تخرجه أو حين يرث اموال جدته، هل سيعجبه هذا؟»

هزت رأسها قائلة: «لا، هو لن يقبل المال منك ابداً يا سيد لوكاس، لكن شكراً على عرضك.»

«هو عنيد إذن؟»

«جداً.» وافقته جيني: «واظن هذه صفة من صفات عائلة لوكاس.»

قال دان عند ذلك: «ان كانت المساعدة الوحيدة التي استطيع تقديمها له هي إيواء عائلته مؤقتاً فليكن ذلك.»

«اود لو تبقون طيلة الفترة التي تحتاجون لبقائها.»

سألته جيني: «هل انت متأكد؟»

تنهدت ماغي وقالت: «هل انا الوحيدة العاقلة هنا؟ اسمعاني جيداً هذا لن ينجح.»

«انها متشائمة دوماً.» قالت جيني وهي تبتسم بحب لشقيقتها: «فلسفتها هي ان شككت بوقوع اي سوء، فسيقع.»

سألها دان بمرح: «وماذا عنك؟»

«آه انا متفائلة دوماً، اعرف ان هذا قد يبدو ساذجاً، لكني اثق ان الحب قادر للتغلب على كل المشاكل.»

تمتمت ماغي وهي تتجه نحو الباب: «اظن من الأفضل احضار الاغراض من السيارة.»

سأل دان بدهشة: «الأغراض؟»

«حاجيات الاطفال ليست قليلة أو خفيفة.»

هزت جيني كتفيها وزاد شعور دان بالذهول، ما الذي كان يورط نفسه به؟

الفصل الثاني

راقبت ماغي محاولة دان في تبديل حفاض ماثيو، لقد اصرّ على القيام بذلك متسائلاً عن صعوبة هذا الأمر؟

شرحت له: «الجزء بالشريط اللاصق يوضع تحت الطفل.»

«اعرف ذلك.» قال وكأن عليه معرفة كيفية فتح الشريط هذا أولاً. ماغي التي كانت تضع ملابس الطفل في الخزانة لم يعد بإمكانها تحمل المزيد.

إمتعض دان من تدخلها، فبعد كل شيء كانت هذه المرة الأولى التي يبدل فيها الحفاضات وكان لا بدّ من القيام ببعض الأخطاء.

«قلت بمقدوري القيام بذلك وسأفعل.»

هزت رأسها وعادت إلى عملها قائلة: «حين تحل المعضلة هذه سيترطب الحفاض وستضطر لتبديله ثانية.»

«سأتمرس حينها اكثر.»

ما كانت العملية لتكون صعبة لو توقف ماثيو قليلاً عن الحركة، لكن الصغير كان يتدحرج على السرير مبتعداً عن حفاضه. معيداً إياه إلى وضعه للمرة الخامسة، فتح دان الشريط اللاصق وأتم العملية قبل ان يتحرك ماثيو ثانية.

«ها انت قد انتهيت.» اعلن دان معتزاً بنفسه، حين وضع الطفل أرضاً، وقف ماثيو على قدميه وسقط الحفاض.

«هذا ممتاز.» قالت ماغي بسخرية، وحملت الطفل، ثم وبلحظات قليلة كانت قد وضعت حفاضاً جديداً له.

توقع دان منها تعليقاً لاذعاً لكنها اكتفت فقط بالابتسام الساخر.

اعترف قائلاً: «حسناً، انت افضل مني.»

«ستتعلم ايها الجد.» قالت وهي تدرك ان تسميته بالجد لا تلائمه كثيراً، فهو بالكاد يبدو اكبر سناً من غاري ليكون والده بل يبدو اكثر كشقيق له لشدة التشابه بينهما، كانت تمنع نفسها من ملاحظة وسامته، لكن تجاهله كان أمراً صعباً نظراً لوجودهما في مكان واحد.

ذهبت جيني إلى المخزن لشراء الحليب تاركة إياهما مع ماثيو كي يتعارفا على بعضهما اكثر. كما قالت، لكن ماغي كانت تعاني كثيراً لأنها تقيم في منزله، لم تكن مهتمة بأي صداقة معه وكل تصرفاتها وتعليقاتها كانت تشير بوضوح إلى ذلك.

لم تشأ الاعتراف بذلك لكن دانيال لوكاس كان يشعرها بعدم الارتياح دون ان تعرف السبب، كانت معتادة على التعامل مع الرجال المتسلطين، فالأطباء هم الأكثر تسلطاً عادة، لذا فلا يعقل ان هالة القوة والسلطة هي ما تشعرها بالعداء نحوه. لا شكله الجذاب أيضاً، فهي تعتبر نفسها منيعة ضد الوجوه الجذابة. على كل حال لم يكن دانيال لوكاس رائعاً بالمقاييس التقليدية.

ما دامت لا القوة ولا الجاذبية هما السبب فما الذي يجعلها تشعر بعدم الارتياح كلما كانت قريبة منه؟ لم يتسنّ لها التوصل إلى جواب فقد زحف ماثيو عبر الغرفة وكان على وشك الامساك بساعة من الكريستال موضوعة على طاولة، اسرعت تمسك بالساعة قبل ان يلمسها فيما حملته باليد الأخرى.

«عرض مؤثر يا آنسة هيو.» علق دان: «كان ذلك تصرفاً سريعاً وحكيماً.»

«سريعاً جداً.» اعترفت وهي تجول ببصرها في الغرفة: «علينا ابعاد الاشياء القيمة عن متناول يد ماثيو والا فقد نصادف الكثير من الأحداث المؤسفة.»

«سأترك لك هذه المهمة، من الواضح ان لديك خبرة ومعرفة اكثر مني بهذه الأمور.» تناول ماثيو من يدها متابعاً: «سأصطحب هذا الصغير إلى الأسفل كي ينام فيما تفرغين انت الغرفة من محتوياتها.»

قالت ناصحة: «لا تدعه يغيب عن بصرك، انه اسرع من انطلاق رصاصة حين يشاهد شيئاً يريده.»

قهقه دان وهو ينزل بحفيده إلى الطابق السفلي: «حسناً ايها الصغير لدينا شيئاً مشتركاً.»

لم يستطع دان الاهتمام بالوثائق التي احضرها معه إلى المنزل، فقد مرّت ساعات اليوم بنشاط طفولي تلو الآخر، هو لم يدرك يوماً ان الاهتمام بطفل يحتاج لكل هذا الوقت والانتباه الكامل حتى اثناء نومه، فخلال الساعات الثلاث التي قضاها ماثيو بالنوم انشغل دان والبقية بترتيب غرفة الطفل ووضع اغراضه فيها من العاب وفراش بلاستيكي واراجيح وإلى ما هنالك.

لم يعد منزل دان ذاك المنزل الكلاسيكي الهادىء بألوانه الداكنة بل اصبح اكثر.. كمنزل مأهول.

بعد حادثة الحفاض لم يتبادل دان وماغي الحديث طيلة الصباح. وقد اقتصر الكلام بينهما اثناء ترتيب غرفة ماثيو على اصدارها للأوامر الى ان بدأ ينزعج من طريقتها الآمرة

تلك. إرفع تلك الحقيبة، ضع ذاك الصندوق هناك، افعل هذا، افعل ذاك، فقد انخرطت فوراً بدور الممرضة المسؤولة وكان عليه هو الانصياع لأوامرها، لكنه لم يعرف السبب الرئيسي لامتعاضها الدائم منه. فقد فتح منزله لها ولعائلتها، وسمح لها بالترأس واصدار الأوامر على الدوام. حتى انه اعترف ببراعتها بالاهتمام بالطفل، ما الذي تريده هذه الصهباء اكثر من ذلك؟

استيقظ ماثيو عند الظهيرة وكان بحاجة الآن لتبديل الحفاض وتناول الطعام، كانت ماغي في الأسفل وصاحت قائلة لجيني في الأعلى: «سأعتني بالصغير لحين انتهائك من توضيب الملابس.»

«وانا سأحضر بعض الساندويشات.» اقترح دان وهو يتبع ماغي إلى غرفة الجلوس.

رمته ماغي بنظرة قبل ان تحمل ماثيو بين ذراعيها: «مرحباً أيها الغالي. انت لم تعتقد ان خالتك ماغي ستتركك هنا وحدك؟»

توقف ماثيو عن البكاء فوراً وامسك بخصلة من شعرها مداعباً.

افلتت شعرها من يده بلطف ووضعته على السجادة مجدداً وبدلت له الحفاض بسرعة قياسية اذهلت دان، بعدها نظر ماثيو الى دان مبتسماً وردّد: «بابا.»

مسحت ماغي نقن الصغير ونهضت حاملة إياه بين ذراعيها. «انه جائع، لقد فات أوان غدائه، هل تسمح لي باستعمال المطبخ؟»

تمنى دان ان لا تظهر عليه الدهشة كما كان يشعر بها حين سأل: «طبعاً، ما الذي يتناوله؟»

«نطعمه اطعمة الاطفال الجاهزة في الحالات الطارئة، هناك بعضاً منها في حقيبته الخاصة.»

«سأحضرها.» تطوع دان فوراً لكن حين استدار وجدها قد وصلت إلى باب المطبخ، لحق بها وقال بصراحة ما يفكر به.

«لعله من الافضل للجميع ان تحاولي التصرف بلياقة على الأقل طالما اننا نعيش معاً.»

اتسعت عينا ماغي وقالت: «دعني أوضح بعض الأمور، أولاً نحن لا نعيش معاً، نحن هنا مؤقتاً لحين عودة جيني إلى رشدها.» سحبت من يده الحقيبة ووضعتها على طاولة المطبخ. عبثت في الحقيبة إلى ان وجدت الطعام الذي تبحث عنه قبل ان تتابع: «الوضع الحالي لا يعجبني اكثر منك.»

«ومن قال انه لا يعجبني؟»

«اظنك اوضحت ذلك بشكل جلي.» وضعت ماثيو على كرسيه العالي وطلبت ملعقة: «انت لم تكن يوماً والداً لغاري فلم ترغب فجأة ان تكون جداً لابنه؟»

«انت لا تعرفين شيئاً عن الظروف التي ادّت لذلك.»

«ذاك لا يشكل اي فرق.» قالت وهي تهز رأسها: «لا شيء في العالم قد يبعدني عن طفلي.»

شعر دان برغبة جامحة للدفاع عن موقفه، لكن ماثيو اخذ يحدث جلبة محاولاً الوصول إلى طعامه. ناول ماغي ملعقة صغيرة وجلس إلى الطاولة امامها.

«بما انك أدنتني، حاكمتني ووجدتني مذنباً فانا اتحرق لسؤالك السؤال التالي، لماذا انت هنا؟»

قالت ببرود: «جيني اندفاعية وعفوية، وكانت مقتنعة كلياً بضرورة تعرف ماثيو على عائلته بمن فيهم انت، ظنت ان هذه هي

الفرصة الأمثل لذلك وما كنت لأتركها تأتي إلى هنا بمفردها. وكما قلت بنفسك، لا سبيل لمعرفة أي نوع من الأشخاص انت.»

اشار قائلاً: «لا زلت لا تعلمين ذلك، بالنسبة لك قد اكون قاتلاً أو مجرماً ما.»

اجابت ببرود: «اعرف بعض الأمور عنك، اترغب بسماعها؟»

كان دان فخوراً بسرية حياته الخاصة لذا فقد كان واثقاً من انها لا تعرف شيئاً، استرخى على كرسيه مبتسماً مما دل على استمتاعه بما كان سيسمعه.

«أولاً انت لم تشتر هذا المنزل الفاخر الضخم لأنك شاهدته وأحببته فوراً، اشتريته لأنك تجني الكثير من المال ولأن هذا هو نوع المنازل الواجب على المحامين الناجحين العيش فيها.»

لم يغضب دان من هذه الملاحظة لأنها كانت صحيحة، لكنه تفاجأ من معرفتها في هذا الوقت القليل.

«هل انت ذات خبرة بمجال الأماكن الواجب على الرجال الناجحين السكن فيها؟»

«لا.»

«إذن على أي اساس أدليت برأيك المتسرع هذا؟»

«عندما يتعلق الأمر بالشخصيات فانا اتبع غرائزي ونادراً ما تخطىء.» وضعت ماغي ما تبقى من المعكرونة في فم ماثيو المنتظر قبل ان تفتح مرطبان الفاكهة وتتابع: «حتى انه ليس لديك مدبرة منزل، أليس كذلك؟»

قطب دان متسائلاً عن اهمية هذه النقطة وقال: «لا.»

«لكن هناك من يقوم بالتنظيفات.»

ما ادراها بذلك؟ أجاب: «أجل انه منزل كبير، ولا وقت لدي لتنظيفه حتى ولو رغبت بذلك.»

«اعرف ذلك.»

«تعرفين ماذا؟» سألها مقهقهاً: «القلة القليلة من الناس تستمتع بالأعمال المنزلية حين يكون بمقدورها توظيف من يقوم بذلك عنها.»

«آه، اوافقك الرأي.» قالت وهي تتابع اطعام ماثيو: «ادركت انك من نوع الرجال الذين يستخدمون مجموعة من عمال التنظيف الذين لا يعرف اسماءهم ولا وجوههم كي يهتموا بعملهم ويغادروا فوراً بعد ذلك.»

«واي نوع من الرجال يجعلني ذلك؟»

«رجل لا يرغب بتبديل نظام حياته بالاهتمام بمشاعر الآخرين.»

قهقه دان قائلاً: «هل تتهمينني بأنني لست اجتماعياً نظراً لعدم شعوري بالحاجة لمعرفة الشخص الذي ينظف منزلي؟»

«انه المحامي الذي يتكلم الآن. ليس هذا ما اردت قوله، ما اعتقده انك لا ترغب بالتعرف على الشخص الذي يعتني بك، بتلك الطريقة بحال مات من ينظف منزلك أو دخل المستشفى لإجراء عملية جراحية ما، فسترسل شركة التنظيف شخصاً آخر مكانه ولن تضطر انت للإنزعاج بمعرفة التفاصيل.»

راقبته مناغي، كان يفكر بكلماتها بهدوء، ولاحظت مدى برودته وعدم تأثره، هل شعر دان لوكاس بعطف تجاه أي شخص في حياته؟

«لم يسبق لي التفكير بالأمر على هذا النحو من قبل. لكن قد تكونين على حق.»

نظرت إلى المطبخ الذي لا يفتقر للمسة الديكور. فالمقالي المعلقة على الجدار كانت للزينة فقط وليس

للاستعمال. وكتاب الطبخ الملون على الرف الذي لم يفتح من قبل على الأرجح، حتى حوض النبات الاصطناعي الجميل على حافة النافذة لم يكن بحاجة للعناية.

«كل شيء ممتاز وفي مكانه، في الواقع ينتابني شعور انه لا يمكنك العيش في أي مكان يا سيد لوكاس، لديك منزلاً خاصاً بك كما تتبع نمط حياة خاصة.»

لم يعجب دان ما آل اليه هذا النقاش، فلا يحق لها انتقاده لكنه أبقى صوته هادئاً وهو يقول: «بما اننا نتحدث بصراحة دعيني أخبرك عما لاحظته عنك خلال فترة تعارفنا القصيرة هذه.»

اجابت: «قل ما يحلو لك.»

«انت قرابة الثلاثين من العمر، أليس كذلك؟»

هل سيعلق على عمرها الآن؟ أو على ما تنعتها جيني به العانس السعيدة؟

«أنا في الثالثة والثلاثين بالضبط، كنت في الثالثة عشر عندما ولدت جيني.»

«وقد اعتنيت بها منذ ذلك الحين، اليس كذلك؟»

«توفي والدي بنوبة قلبية حين كانت جيني في الثالثة من العمر، وبعد سبع سنوات اصيبت والدتنا بمرض عضال، مما تطلب بقاءها في المستشفى طيلة الوقت. وهكذا انتقلت جيني للعيش معي منذ ذلك الحين.»

«آسف، لم اعرف ان الظروف كانت مأساوية إلى هذه الدرجة.»

«توفيت والدتي بعد سنوات قليلة وبقيت وجيني وحدنا منذ ذلك الحين.»

«هذا يوضح حمايتك المبالغ بها نحوها.»

ابتسمت ماغي وقالت: «هذا غير عادل، سبق لجيني ان اخبرتك بذلك.»

«بعد خسارتك لوالديك تابعت الاهتمام بجيني، ولا زلت تفعلين، انزعجت من غاري لأنه اخذها منك إلى ان اجبرتهما الظروف للجوء إليك طلباً للمساعدة. الآن هما سيكونان معك لسنتين اخرتين، والآن اخبريني ماذا تخططين لفعله في نهاية تلك المدة وحين لا يعودان بحاجة لك؟»

«انت مليء بالـ...»

قاطعها دان: «آه، بإمكانك التفوه بما تشائين لكنك غير مستعدة للاستماع لشيء. لا ترتكبي خطأ باخباري وفي منزلي بانني لا أحيا حياة طبيعية قبل ان تحظي أنت بحياة طبيعية يا آنسة هيو.»

كانت ماغي على وشك الردّ حين دخلت جيني المطبخ فجأة وجلست إلى الطاولة.

«نبدو كالعائلة، أليس كذلك؟» ثم رمت بقبلة لماثيو الذي فعل المثل.

قال دان: «نسيت أمر الساندويشات، لدي بعض السمك والدجاج الجاهز.»

«سنساعدك.» تطوعت جيني فوراً وهي تنهض وتفتح الثلاجة: «قل لماغي عن مكان الصحون وستعد هي الطاولة.» دندت جيني لحنا ما ثم تابعت: «أليس هذا رائعاً يا ماثيو؟ عائلتك تكبر اكثر فأكثر.»

«بي.» تمتم ماثيو وهو يطرق الصينية امامه: «بي، بي.»

غادرت ماغي في الثانية والنصف، فدوام عملها يبدأ في

الثالثة في المستشفى، وعرضت جيني طهو ما يرغب دان بتناوله على العشاء.

«لا داعي لتزعجي نفسك، فأنا سأخرج، آسف، لكني قطعت هذا الموعد قبل اسابيع عدة ولا استطيع الامتناع عن الذهاب الآن.»

«لا مشكلة.» قالت جيني بابتسام: «سأطلب البيتزا.» ثم اختفت ابتسامتها فجأة ليحل مكانها تقطيبة وهي تتابع: «لم يخطر ببالي ان بقاءنا هنا قد يؤثر على حياتك الخاصة؟ اعني... هل ستأتي صديقتك إلى المنزل معك لو كنا... اظن هذا ليس من شأني، أليس كذلك؟»

ابتسم دان وهز رأسه: «لم تؤثري على حياتي ابداً يا جيني، فهذا موعد لعمل خيري، عشاء وحفل راقص، وما إلى ذلك، وسينتهي الحفل في ساعة متأخرة من الليل وسأعود إلى المنزل بمفردي.»

«آمل الا تأخذ صديقتك الحميمة فكرة خاطئة من وجودنا هنا، لربما ان التقيتها...»

قاطعها دان قائلاً: «لا صديقة حميمة لدي، انها مجرد زميلة في العمل، وأنا بالكاد أعرفها، لذا لا داعي لأي شروحات.»

في الواقع دان لم يذكر شيئاً لصديقته عن ضيوف منزله، وطيلة الحفل وجد نفسه يفكر في المنزل وهذا شيئاً لم يألفه من قبل.

كان ماثيو طفلاً رائعاً، كان مصدر متعة وسعادة للثلاثة الذين كانوا يجعلونه محط اهتمامهم.

كانت جيني فتاة عاقلة وكان دان سعيداً لاختيار ابنه لها لتكون رفيقة دربه، ان كان هناك من تعبير مماثل. لكن ماغي هي من تثير إنزعاجه، منذ اللحظة التي قابلها بها

شعر بانجذاب غامض نحوها بطريقة ازعجته، لقد جعلته يشعر بنزعة للقيام بعمل طائش، وهذا الأمر لم يسبق ان شعر به تجاه اي امرأة من قبل. وهذا شيء لم يعجبه اطلاقاً.

كما لم تكن ماغي من نوع النساء التي قد يعجب بها، فهي عنيدة برأيها إلى أقصى الحدود وحنونة جداً، وعليه الابتعاد عن المرأة التي تثير فيه مثل هذا الإنزعاج.

لم يكن يهتم كثيراً بحفلات العشاء، لكن حضوره لهذه المناسبات كان مهماً لعمله. فمعظم زبائنه من أثرياء دالاس الذين يدفعون بسخاء للحصول على الطلاق.

حاول التركيز على رفيقة موعده باربرا ملتون، فهي محامية شابة لامعة بدت مستعدة لتعميق معرفتهما، كانت جذابة، رشيقة القوام، مثقفة وتشاركه اهتماماته بعالم القانون. وادرك دان انها تستحق منه اهتماماً اكثر مما يبديه لأن افكاره كانت بعيدة عنها حالياً.

لكن بدا عاجزاً عن ذلك فقد قضى معظم الأمسية وهو يفكر بماغي، وبأشياء بسيطة تافهة كالاخلاص التام الذي تبديه نحو شقيقتها، الحب الذي يظهر في عينيها كلما ابتسمت لماثيو والغضب الذي يشتعل داخلهما كلما نظرت اليه.

ابتسمت باربرا عبر الطاولة وقالت: «تبدو مشتت الأفكار الليلة يا دان، اتعمل على قضية كبيرة؟»

«لا ابداً، لكني مررت بالكثير اليوم. لا بد انني اصبحت كبيراً بالسن.»

«لا يبدو عليك ذلك.» ردت باربرا مبتسمة: «تبدو رائعاً.»

«يفترض بي قول هذا لك.» قال دان بعدم ارتياح: «انت امرأة جميلة يا باربرا.»

«شكراً لك يا دان. كما انك من اكثر الرجال وسامة ممن سبق والتقيت بهم.»

لم يمانع دان بعدائية المرأة من قبل، لكنه لا يفهم سبب ميله إلى ذلك الليلة.

«لست سيئاً لأكون جداً، أليس كذلك؟»

قالت بدهشة: «لا بدّ وانك تمزح، انا لا اعرف حتى ان لديك اولاداً.»

«لدي ابن، وتزورني حالياً زوجته وحفيدي، لم اعرف بأمر قدومهم الا حين رأيتهم على عتبة منزلي هذا الصباح.» ولم يزعج نفسه بإخبارها انه لم يكن يعرف بوجودهم اصلاً قبل هذا اليوم.

«هل هذه طريقة لطيفة لإخباري اننا لن نعود إلى منزلك عند انتهاء هذا الحفل؟»

هز دان كتفيه قائلاً: «آسف.»

ضحكت باربرا وقالت: «لا مشكلة بذلك، أنا بدوري لا احبذ الضيوف غير المرغوب بهم أو الزوار المفاجئين.»

«ليسوا من غير المرغوب بهم، لكن وصولهم كان على نحو مفاجيء.»

نظرت باربرا إليه متألمة للحظات ثم قالت: «أترغب بالمغادرة الآن يا دان؟»

أراد ذلك فعلاً لكن اصول اللياقة منعته من النطق بذلك. «لم ننه العشاء بعد وسمعت شائعات مفادها انك تحبين الرقص.»

«لا اتحدث عن نفسي، فأنا لا نية لي بالمغادرة الآن. اليس ذاك جون برادلي شريكك الجديد؟»

نظر دان إلى الجهة التي اشارت اليها وقال: «اجل، جون

جديد في البلدة وتذكر انه سيكون وحيداً في هذا الحفل.»

«اذاً قدمني إليه، وستكون لك حرية المغادرة.»

* * *

دخل دان المنزل عبر باب المرآب وتفاجأ لرؤية ماغي في المطبخ، كانت حافية وترقص بحركات خفيفة على موسيقى تنبعث عبر سماعات الاذن ولذلك لم تشعر بدخوله. حلّ ربطة عنقه قليلاً لكنه لم يقاطع العرض الموسيقى الجميل الذي كان امامه، ليس بعد.

استدارت لفتح باب الفرن فيما تطاير شعرها الأحمر حول وجهها وحينها، فقط رأته.

أزالت فوراً السماعات عن اذنيها والتمعت عيناها بغضب، كيف يجرؤ على مداهمتها هكذا؟ ثم ادركت انها من تقف داخل مطبخه ولعلها هي المتطفلة لا هو. ارادت اخباره عن حقارة تصرفه، لكنها لم تستطع التفوه بشيء.

أطفأت الفرن وتناولت قطعة بيتزا من داخله. شعر دان بضرورة اعتذاره منها لكنه لم يكن آسفاً، فقال: «هل من تعرفة خاصة للتسلية؟»

ابتسامته الخبيثة اخبرت ماغي ان عليها الشعور بالإحراج والارتباك وهذا ما كانت عليه فعلاً، لكنها رفضت منحه هذا الرضى، كانت على وشك الهروب من المطبخ ومن حضوره لكنها أجبرت نفسها على البقاء، وقالت: «لا، وانتظر فقط لترى ما اقوم به بعد ذلك.»

جذبها نحوه، فما كان منها الا وان سحبت يده من حول خصرها ووضعت قطعة البيتزا في كفه.

«هنيئاً لك!» صاحت وهي تغادر الغرفة.

كانت انفاس ماغي متقطعة بوصولها إلى غرفتها فارتمت على السرير فوراً، الن تتعلم ابداً السيطرة على ردات فعلها العفوية التي تهاجمها بين الحين والآخر؟

نظرت مبتسمة إلى السقف، كانت هذه حالة من حالات السرور والغضب في آن واحد، لكن ما يحيرها هو كيف ستتمكن من مواجهته مجدداً؟ لولا جيني وماثيو لحزمت حقائبها وغادرت للتو، لكنهما بحاجة لها، وفلسفتها هي التالية: «لا شيء يمكن ان يتحطم دون امكانية اعادة تركيبه ثانية.»

هذا بالاضافة، فهو لم يحاول سوى جذبها اليه.

كل ما عليها فعله هو مواظبة الإصرار على جيني لتقنعها بالمغادرة، في هذه الاثناء ستتحاشى الالتقاء بدان لوكاس.

بعد خروج ماغي السريع من المطبخ، تساءل دان كيف بإمكان امرأة بهذه الرقة ان تكون بهذه القسوة، هو لا يذكر انه قد انجذب الى امرأة مثل انجذابه لماغي، هذا سبب اضافي ومهم لتحاشي ماغي اكثر فأكثر.

رمى دان قطعة البيتزا في سلة القمامة وصعد إلى غرفته.

الفصل الثالث

نظرت ماغي إلى المرآة ورأت الهالات السوداء حول عينيها، يجب ان تضع القليل من المساحيق كي لا تلحظ جيني تلك الهالات وتمطرها بالأسئلة حول سبب ارقها.

انهت ارتداء ملابسها بسرعة. بعد ان تأكدت من ان احداً لن يلحظ آثار قلة النوم نزلت إلى الطابق السفلي لمواجهة شقيقتها ودان.

تنهدت وهي تقترب من المطبخ لسماعها شقيقتها تتغنى بمحاسنها امام دان، لماذا يحلو لجيني هذا الكلام كلما لاح في الأفق رجلاً عازباً ومناسباً؟ تصرفات كهذه، لهي واضحة ومهينة.

كانت جيني تقول عن شقيقتها: «بما انها ممرضة، فهي تعي جيداً أهمية تمتعها بصحة جيدة. بصراحة لا اعرف كيف تفعل ذلك. تعمل من الثالثة حتى الحادية عشرة ليلاً في المستشفى. ورغم ذلك تستيقظ في السادسة والنصف صباحاً كي تمارس رياضة الجري.»

«هذا تصرف حكيم منها.» علّق دان دون حماس لمحاولاتها.

«عليك ان تجرب ذلك يا دان، اعتقد انك لا تتمرن بدرجة كافية. وبالحكم على الطعام الموجود في خزائنك، فأنت لا تتناول وجبات صحية أيضاً.»

«لدي معدات رياضية جيدة في القبو.»

تابعت جيني حديثها: «بالنسبة لماغي كلما تقدمت بالسن

تزداد أهمية قيامك بالتمرينات الرياضية الدائمة، فالكثير من الرجال في منتصف عمرهم يتعرضون للنوبات القلبية كما تعلم.»

قطب دان قائلاً: «لست في منتصف العمر.»

«بلى انت كذلك. فمتوسط عمر الرجال في بلادنا اربع وسبعون وهذا يجعلك بمنتصف العمر. وفور تضرر القلب، يتضرّر الجهاز التنفسي ايضاً.»

«هل انت دائماً منشرحة ومتفائلة في الصباح هكذا؟»

علّق دان بمرح وقد بدأ يفكر فعلاً بضرورة زيارته للقبو لممارسة الرياضة.

«أنا اقول الواقع.»

«ارجوك لا تكوني بالغة الصراحة هكذا إلى ما بعد احتسائي لقهوة الصباح.»

«وكم فنجان قهوة تتحسي في اليوم؟» سألته بشك وهي تسكب له القهوة.

«وما هو الحد الصحي لذلك؟»

«تقول آخر الأبحاث ان تناولك لأكثر من أربعة فناجين يومياً يضر بصحتك.»

«أنا لا اشرب اكثر من ثلاثة فناجين.» لكنه كذب بقوله هذا.

ردّت جيني بحماس: «جيد. ماغي تفضل اللياقة البدنية، وهذا ليس أمراً سيئاً، بعد ولادة ماثيو واجهت متاعب كثيرة لإنقاص وزني ورفضت الجري لذا فقد اشترت لي شريط فيديو للتمارين الرياضية، وقد اعجبني كثيراً ولا زلت اقوم بذلك مرتين أو ثلاث اسبوعياً.»

حاول دان ان يبتسم فهو لم يكن يحبذ التحدث قبل تناول القهوة، وكان معتاداً على تناولها بمفرده وبهدوء. كانت جيني تنتقل من موضوع إلى آخر وكان من الصعب عليه مجاراتها بذلك. فالتحدث يتطلب الكثير من الجهد لذا قرّر الايماء برأسه للموافقة على ما تقول.

«اظن ماغي اكثر النساء نشاطاً ممن عرفتهم في حياتي، بعد جريها الصباحي تعود للاهتمام بماثيو بينما اذهب انا إلى مكتب المحاسبة في الثامنة. انها شقيقة رائعة وخالة ممتازة و...»

دخلت ماغي المطبخ في هذه اللحظة وقاطعتها: «كما احتفظ بكل اسناني.» ثم تابعت وهي تسكب لنفسها القهوة: «الأفضل لك الانتباه منها يا دان. انها من النوع الذي يحاول دائماً التوفيق بين شخصين وكانت تحاول دفعي للزواج لسنوات عديدة.»

حملت ماغي فنجانها وذهبت إلى الطاولة قائلة لدان: «لا تبدي كل هذا الرضى، فقد تسأم جيني مني في النهاية وتحول انتباهها اليك.»

أعاد دان انتباهه إلى جيني مقرراً وضع حد لهذه المحاولة قبل ان تبدأ وقال: «انا قانع تماماً بنمط حياتي الحالي، فلو أردت الزواج لكنت تزوجت قبل الآن.»

ابتسمت جيني بعذوبة: «ماغي تبالغ بهذا الأمر. حاولت مرة فقط ترتيب موعد بينها وبين شخص آخر ولم انته منها منذ ذلك الحين.»

رفعت ماغي حاجبها وقالت: «مرة واحدة؟ أرى انك نسيت غروبر وجعبته المليئة بالحيل.»

اعترفت جيني مبتسمة: «حسناً. مرتان.»

«وذاك الرجل م.م لا يستحق الذكر اليس كذلك؟»

قطب دان وسأل: «م.م؟ ما يكون ذاك؟»

«متزوج ويسيء الفهم.»

قالت جيني مدافعة: «لم يكن يضع خاتم زواج. ولا يسعك لومي على هذا الأمر بالذات، فقد قرأت مقالاً مفاده ان مخزن البقالة هو أفضل مكان للقاء الشبان.»

«هل نأخذ بالحسبان ذاك الذي...»

«حسناً، حسناً.» قاطعتها جيني ضاحكة: «إذن حاولت ترتيب مواعيد كثيرة لك ولم ينجح الأمر، ان من يتصف بالنبل، هو من يسامح وينسى.»

ضحكت ماغي وقالت: «سأسامح بحال توقفت عن افعالك.» ثم نظرت إلى دان متابعة: «انت محام، أخبرني ما السبيل للحصول على أمر تنفيذي بذلك.»

تنهدت جيني وغيّرت الموضوع: «كيف حال ابن جوان الصغير؟ هل ستعملين لها اليوم أيضاً؟»

«لا، فحالته تحسنت وزوجها لديه عطلة يوم الأحد.» لم يكن لدى ماغي عملاً اليوم لذا أملت بقيامها تمريض خاص هذا اليوم كي تتحاشى البقاء مع دان.

فكرت بسرعة وقالت: «لا زلنا بحاجة لاستبدال بعض العاب ماثيو ونحن بحاجة للمزيد من الملابس. فلِمَ لا تصطحبين ماثيو إلى المركز التجاري بعد الظهر لصرف بعضاً من اموالي المجمدة؟»

قالت جيني: «كنت آمل بتعارف ماثيو ودان اكثر اليوم، لم لا ترافقنا؟»

عادة كان دان يكره التسوّق ويتحاشاه ما امكنه لكنه قال لا شعورياً: «سأفعل إذا سمحت لي بجرّ عربة ماثيو.»

«انا واثقة من ان لديك اموراً اكثر أهمية لتقوم بها.» احتجت ماغي: «يزعجنا ان نأخذ من وقتك الثمين.»

ادرك دان ان ماغي لا ترغب برفقته، لكن ذلك جعله أكثر اندفاعاً لمرافقتهم، فرفقة هذه الصهباء كانت تسلية لسبب ما.

ابتسم قائلاً: «وأي الأمور اهم عندي أكثر من قضاء الوقت مع عائلتي؟»

• • •

كان دان عديم الخبرة فيما يتعلق بالتسوّق برفقة النساء وادرك فوراً ان فكرته عن ذلك تختلف جذرياً عن فكرة النساء، كان يقرر ما يريد ابتياعه قبل الذهاب ويتوجه مباشرة إلى المكان الذي يبيع هذه الاشياء فيشتريها ويدفع ثمنها ثم يعود إلى منزله، لم تكن هذه العملية تستغرق اكثر من ساعة على أبعد تقدير.

أوصلته تذمراته للبقاء مع ماثيو على مقعد خارج متجر الأدوات الرياضية، وفيما نظر حوله وجد العديد من الرجال جالسين على المقاعد المنتشرة حول النباتات الخضراء، وكان للجميع نفس التعابير المرسومة على وجهه.

سرح دان بأفكاره هذه كي يتحاشى التفكير بماغي وبما حدث في المطبخ ليلة البارحة. من حيث يجلس كان يراها بوضوح وهي تخرج من غرفة القياس وقد ارتدت ثوب رياضة رائع.

كانت تستدير امام المرآة لترى كيف تبدو، لم يستطع دان الا وان يلاحظ جمالها وتناسقها.

«بابا، بابا.» صاح ماثيو وهو يضرب اللعبة بين يديه بحافة عربته.

حول دان نظره عن ماغي وحوّله إلى حفيده.

«ما الأمر؟ هل ترغب بكوب من العصير؟»

«ارفع، ارفع.» ردّد ماثيو وهو يمد ذراعيه للأعلى طالباً من دان حمله.

«قالت والدتك ان لا اخرجك من العربة لأنك لن ترغب بالعودة اليها بعد ذلك.»

توقف ماثيو عن الابتسام وتابع: «ارفع، ارفع.» اراد دان ان يرفعه، لكنه لم يشأ مخالفة تعليمات جيني.

«اترغب بالتنزه؟ أرى ما يشبه مخزن ألعاب في البعيد هناك.»

عاد ماثيو للابتسام وكأن هذا القول أسعده. جرّ دان العربة وفتح باب متجر الرياضة منادياً جيني، عندما رفعت بصرها عن الحذاء الرياضي الذي كانت تجربه قال: «سأتنزه وماثيو قليلاً، فهو يشعر بالملل.»

اجابته: «لا بأس، سنجدكما حين ننتهي من هنا.»

دفع دان العربة إلى داخل متجر الألعاب وادرك انه لم يسبق له التواجد بهكذا مكان من قبل. سبق له واشترى ألعاباً لغاري في السابق وأخرى بلاستيكية لكنه توقف عن ذلك لأن الألعاب كانت تعود ثانية اليه دون ان تمس. خلال السنوات الماضية، كان يرسل هدايا لأطفال زملائه وغيرهم لكن سكرتيرته كانت من يهتم بهذه المسائل.

نظر فيما حوله بدهشة كما ماثيو. كان المتجر كشيء لم يسبق له ان رآه من قبل ابداً. قلاع ملونة ضخمة واقواس قزح تزين

الجدران. كان مكاناً رائعاً جميلاً يمتلىء بأشياء صممت لاسعاد الاطفال، كان يحوى رفوفاً مليئة بالدببة الملونة والألعاب ذات الشعر المجعد. وهناك أوعية للكرات بكافة اشكالها واحجامها، ودراجات متنوعة تخطف الابصار بألوانها واشكالها واحجامها. تحتل الألعاب الالكترونية والأخرى الموسيقية حيزاً مميزاً في المتجر يقابله الألعاب المدرسية والثقافية المسلية. الأحاجي، المربعات والعاب بشتى الاشكال كانت مرتبة بعناية على جدار آخر. لم يعرف دان ابداً من قبل بوجود هذا التنوع والكم الهائل من الألعاب والتسالي.

مع ان بعض الألعاب كان هادفاً تثقيفياً، لكن شيئاً منها لم يكن ضرورياً. دون شك آل غاريت، كانوا يغرقون غاري بالألعاب، لكنه كوالد لم يشارك ابنه متعة اللعب بها.

صفّق ماثيو بيديه بسعادة عارمة: «لعبة، بابا، لعبة.»

انحنى دان وعبث بشعره الصغير قائلاً: «بل الكثير من الألعاب.»

اشار ماثيو إلى رف خلف دان وصاح: «عاربة.»

استدار دان بفضول ليعرف ما هي العاربة، وضحك ثم تناول سيارة اطفاء حمراء.

«انها سيارة اطفاء كبيرة.»

امسك ماثيو بها وصاح بإصرار: «عاربة.»

انحنى دان اليه وحدق به قائلاً: «عربة.»

«عربة.» قلده ماثيو مبتسماً.

«حسناً، هذا صحيح.» وافقه دان ضاحكاً.

استقرت نظرات ماثيو مجدداً على شيء على الرف وصاح: «حصان.»

استدار دان وفعلاً وجد حصاناً خشبياً ملوناً وضع على رف قريب.

«تريد حصاناً ايها الخيّال؟» قال دان ذلك وهو ينزل الحصان الخشبي عن الرف فيما ماثيو يناضل للخروج من عربته. «ليس بهذه السرعة يا صغير، عليك الانتظار لحين عودتنا إلى المنزل، عندها فقط تمتطي حصانك، لنرى ماذا يمكننا ان نجد ايضاً.»

لم يرغب ماثيو بالانتظار: «حصان، حصان.»

اقترب فتى منهما وقال: «هل اساعدك بشيء يا سيدي؟»

ناوله دان الحصان وقال: «اتأخذ هذا والشاحنة الحمراء إلى الصندوق فيما اتابع وحفيدي التسوّق؟» استدار إلى ماثيو المجاهد للخروج من عربته قائلاً: «الا تريد اختيار المزيد من الألعاب؟»

ناول الفتى ماثيو هاتفا بلاستيكياً وضغط على زر ما فيه فانبعث الرنين الذي حظي باهتمام ماثيو ونسي الأخير أمر الحصان منشغلاً باللعبة بين يديه. اختار دان بمساعدة الفتى بضع العاب أخرى فيما ماثيو منشغلاً بهاتفه.

فجأة تناول ماثيو لعبة قرد من الرف إلى جانبه ورفعه عالياً امام دان متمتماً بطفولية: «بايبي.»

ابتسم دان له وانحنى قربه قائلاً: «هذا قرد يا ماثيو.»

حين لم يردّد ماثيو الكلمة نظر دان حوله كي يتأكد من خلو المكان حوله من أي شخص ثم ركع واضعاً ذراعيه على الأرض قائلاً: «قرد، قرد.» واخذ يهرش رأسه كما يفعل القرد.

قفز مردّداً: «قرد.»

قهقه ماثيو وصفق بيديه جذلاً.

كلما قفز دان اكثر كلما علت قهقهة ماثيو، وقد استمتع بصدى هذه الضحكة ولوى فمه مقلداً القرد ومتمتماً: «اووو، اووو، اووو.»

«هذا ما اسميه قرداً كبيراً.» جاءه صوت ماغي المرح فجأة من الخلف، وتساءلت عما سيقوله زملاؤه من المحامين بحال شاهدوه وهو على هذه الحال؟ هل سيجدون تصرفه محبباً كما وجدته هي؟

نهض دان على الفور شاعراً بالارتباك، ثم ابتسم موضحاً لماغي: «كنت احاول ان اشرح له الفرق بين الطفل والقرد وقد سعد ماثيو بذلك. اظنني تماديت بذلك قليلاً.»

ابتسمت ماغي وقالت: «هذه امور تحدث، فمن السهل على المرء ان يجعل من نفسه اضحوكة لأجل اسعاد طفل، خصوصاً اذا كان طفلاً رائعاً كماثيو، اقوم بهذا دوماً، ويسعدني انك فعلت ذلك بدورك.»

«اين جيني؟» سأل دان وهو لايزال مرتبكاً.

«انها تحاول ان تحجز لنا مكاناً في الكافيتيريا، من السهل اطعام ماثيو هناك.»

عرض دان: «أنا سأجره.»

«هل ستشتري القرد وسيارة الإطفاء؟»

«أجل، لماذا؟»

«لأن هناك ملايين الألعاب الجميلة الجذابة قرب صندوق المحاسبة تشدّ انتباه الاطفال، وهي موضوعة بمكان يسهل وصول الطفل اليه، لذا عادة يهرب احدنا بماثيو فيما يدفع الآخر ثمن المشتريات.»

تناولت الألعاب من ماثيو وناولتها لدان متابعة: «سأجر العربة إلى الخارج بينما تدفع انت الثمن المبالغ به.»

كان ماثيو يبكي ويصرخ لذا حملته ماغي واخرجته من العربة: «حسناً أيها الشاب، لا تبكي.»

اشار إلى المتجر باكياً: «بابا.»

استدارت ماغي كي يواجه ماثيو منظراً آخر، كان عادة طفلاً هادئاً نادراً ما يبكي فما الذي حدث له؟ لعله يشعر بالتغيير في حياته هو ايضاً؟

نظرت ماغي حولها باحثة عما قد يشغل ماثيو.

«انظر يا ماثيو طفل بايبي.»

توقف ماثيو عن البكاء وردّد: «بايبي.»

جلست ماغي قرب المرأة التي تحمل طفلاً رضيعاً ومسحت الدموع عن وجه ماثيو مردّدة بهمس: «انه نائم.»

رفع ماثيو اصابعه إلى فمه وهمس: «شش.»

حين لحق دان بهما بعد لحظات مدّ ماثيو ذراعيه واحتضنه بينهما.

«سأحمله. فهو يرغب بمغادرة العربة منذ ساعات.»

«شش.» همس ماثيو: «ينام بايبي.»

ربت دان على ظهره وقال مبتسماً: «انت طفل بالغ الذكاء، أليس كذلك؟»

طأطأ ماثيو رأسه وكأنه فهم ما قيل له. مع ان ماغي قهقهت على هذا لكنها شعرت بالغيرة للسرعة التي ارتمى بها ماثيو بين ذراعي دان. لكن كيف بإمكانها لوم الطفل؟ فهي نفسها لم تكن محصنة كلياً امام روعة دان.

«انا متفاجئة لتعلق ماثيو السريع بك.»

«لا بد انه يفتقد والده وتقول جيني، انه يشبهني كثيراً لعل هذا هو السبب.»

نظرت ماغي إلى دان قائلة: «ربما، فالشبه كبير بينكما، لكلاكما البنية الجسدية ذاتها وكذلك شعركما الداكن والعينان الواسعتان البنيتان، لكن بالطبع يبدو غاري اكثر براءة منك.»

«شكراً لك.» قال بخفة لكنه عرف ان ما تقوله صحيح. فقد اخذت الحياة والتجارب منه تلك البراءة والسذاجة التي كانت لديه في السابق: «للزمن اساليبه بسلب هذين الأمرين من المرء.»

«أنت محق بهذا.» وافقته ماغي وهي تفكر بنظرتها للحياة التي تختلف كلياً عن نظرة شقيقتها، فهل كانت هي يوماً منفتحة على كل الاحتمالات كشقيقتها؟ هل كانت يوماً واثقة بقدرة الحب على حل كل المشاكل؟ لربما كانت كذلك يوماً في الماضي. لقد اثبت ان العمر يجعل الانسان اكثر تجلداً واحتمالاً. لكن هل يخفف ايضاً من ارادة الانسان بالمخاطرة واستغلال الفرص؟

فيما هما يسيران نحو الكافيتيريا، حاول دان ان يحلّل تصرف ماغي، انه يشعر بمدى استيائها.

«لا داعي لقلقك. انا لا احاول اخذ مكانك لدى ماثيو.»

سألته بدهشة: «عمّ تتكلم؟»

«هناك متسع لكلينا في حياته.»

شعرت ماغي بالاطمئنان لتأكيده هذا، لكن ما لم يكن يعجبها، هو ان دان لم يقم بشيء يستحق حب ماثيو الذي وهبه إياه الصغير ببراءة.

«تبدو راغباً لتقبل حب ماثيو لك الآن، لكن كم سيدوم ذلك؟

ماذا سيحدث عندما يخبو فرحك كونك جداً ويصبح لا وقت لديك للقيام بتلك المسؤوليات؟»

ذهل دان من كلامها وقال: «سأجد دوماً الوقت الكافي لحفيدي.»

«كما وجدت الوقت لغاري؟ لا اريد تعريض ماثيو لأي ألم.»

كانت كلماتها جارحة وحاول دان ان يشرح لماذا لم يكن لغاري جزءاً هاماً وكبيراً في حياته، لكن في النهاية كانت كل الاسباب مجرد حججاً واهية وان ماغي لم تكن مستعدة لفهم ذلك.

«ارتكبت الكثير من الاخطاء مع ولدي. وسأحاول جاهداً الا اكررها مع حفيدي.»

بدا صادقاً فامتنعت ماغي عن الرد الجارح الذي كانت ستستمر بقوله. انها لا تعرف ما الذي يقلقها بشدة، ففور انقضاء عطلة نهاية الاسبوع وعودة دان إلى ساعات عمله الطويلة، سيتقلص الوقت الذي سيقضيه مع حفيده. وبعد اسبوعين تقريباً سيعودون إلى شقتها، هل سيجد دان الوقت لحفيده حين يكون عاجزاً عن ذلك؟ بالتأكيد ستعود الأمور إلى ما كانت عليه سابقاً. قضى وقتاً طويلاً يراقبها اثناء رحلتهم إلى المركز التجاري لذا كان يشعر اكثر بوجودها بعودتهم إلى المنزل. شعر بعدم الارتياح، بعدم الرضى وبعدم القدرة على فهم السبب لذلك.

حين اصطحبت جيني الطفل ماثيو إلى الطابق العلوي كي تضعه في فراشه، كان دان يشعر بالتوتر وادرك ان بقاءه مع ماغي وحده لن يكون آمناً.

ساعدها بالتقاط وجمع العاب ماثيو المبعثرة في كل مكان ثم جلسا على الكنبة.

سألته: «اتمانع بمشاهدتي للتلفاز؟»

«لا اطلاقاً.» ردّ وهو يناولها جهاز التحكم.

ماغي لم تكن في الواقع تريد مشاهدة التلفاز. ما كانت تريده فعلاً، هو الهروب إلى غرفتها لكنها لم تفعل كي لا يدرك دان مدى انفعالها لوجوده معها بمفردهما.

وجهت جهاز التحكم وبدأت تنتقل من محطة إلى أخرى.

عندما وقع نظرها على ممثلها المفضل أبقت المحطة ذاتها وتظاهرت بالاستمتاع بالفيلم الذي تشاهد.

لم تكن مهتمة كثيراً بالفيلم ورأت بطرف عينيها ان دان بدوره لم يكن يشاهده.

بعد دقائق قليلة انتهى مشهد المطاردة منتقلاً إلى مشهد آخر يجمع بين البطل وحبيبته وهما يقومان بنزهة. لعل كل هذا مجرد تمثيل لكن المشهد بدا حقيقياً جداً لعيني ماغي. بدا حقيقياً جداً لدرجة انها سرحت بخيالها متصورة نفسها مكان البطلة وما اذهلها واخافها في الوقت نفسه ان مكان بطلها المفضل تخيلت دانيال لوكاس.

كانت مستغرقة كلياً في خيالاتها واحتاجت لبضع دقائق قبل ان تدرك انه من غير الجدوى تعذيب نفسها هكذا. تنفست الصعداء حين انتهى المشهد وقطع الفيلم للاعلان عن المأكولات.

«حين تصنعين الحلوى فالمهم هو البودنغ.» قال رئيس الطهاة عبر جهاز التلفاز.

علّقت ماغي: «هذا ما اقوله دوماً.»

«ماذا؟»

«ان دليل المهارة بصنع الحلوى هو النجاح بتحضير طبق البودنغ.»

«اظن ذلك.» وافقها دان وهو يجد صعوبة بمتابعة الحديث، فافكاره ما زالت هناك في المشهد الذي شاهده عبر الشاشة منذ لحظات.

سعل دان قليلاً وقال: «عليّ مراجعة بعض الأوراق قبل صباح الغد. لذا هلا اعتذرت لي من جيني؟»

سارعت ماغي للقول: «يسرني ذلك، إذهب فوراً ولا تقلق.»

«جيد.» واتجه نحو الباب بسرعة لشدة تردّده من ابتعاده عنها.

ردّدت من ورائه: «جيد.»

سألها: «ماذا قلت؟»

«... قلت تصبح على خير.»

«آه، تصبحين على خير.»

بخروجه استلقت ماغي على الكنبة وغطت وجهها بالوسادة. عليها الانتباه اكثر في المستقبل.

الفصل الرابع

بسبب دوام عملهما المتضارب، نجح كل من دان وماغي بعدم الالتقاء خلال الايام القليلة التالية، كانت تعود احياناً من الرياضة الصباحية لتلتقي به مغادراً إلى مكتبه وهكذا كانا يتبادلان تحية الصباح السريعة عند عتبة المنزل. احياناً أخرى كانا لا يلتقيان ابداً لأنها كانت تغادر إلى عملها قبل عودته من عمله.

تبعا لما قالته جيني، فقد حصلت شقيقتها على منحة دراسية لدراسة التمريض، وبعد اربع سنوات من تخرجها تمّ تشخيص مرض والدتهما، وعندما احتاجت الوالدة لعناية طبية مدّتها اربع وعشرون ساعة، نقلتها إلى المستشفى، وحينها انتقلت جيني للعيش مع ماغي.

بذلت الفتاتان كل ما بوسعهما لمساعدة والدتهما، وكلما فتك المرض اكثر واكثر بالوالدة، كلما ازدادت حماية ماغي لجيني، فأصبحت تلعب دوراً مهماً في حياة جيني. فالاهتمام بالآخرين كان في طبيعة ماغي كما يبدو. وعرف دان من كلام جيني كيف اصبحت تلك الحماية امراً الزامياً.

اضافة إلى عملها في المستشفى كانت ماغي تتطوع دوماً للعمل في المستشفى المحلي، وتعلم الاميّين، كما تسدي النصح لأفراد عائلة المصاب بالمرض الذي اصيبت به والدتها.

كانت فعلاً اشبه بجمعية خيرية متحركة، مما جعل دان يشعر بالخجل. فمع انه كان احياناً يتبرع في الحفلات

الخيرية ويخفض تعرفته للعائلات المتوسطة لكن، كان هذا كل ما يقوم به من اعمال خيرية، ومقارنة مع ماغي، فهو لا يعتبر ممن يخدمون الانسانية.

كما واجابت جيني على اسئلة أخرى حول ماغي، كسبب بقاء فتاة جميلة وجذابة مثلها وحيدة حتى هذا السن، وكما يبدو بسبب اهتمامها بوالدتها وشقيقتها في مطلع حياتها، الأمر الذي انساها ذلك الاهتمام بشؤونها الخاصة.

«حاولت لسنوات دفع ماغي للوقوع في الحب.» قالت جيني في احدى الأمسيات وهما يعدان الكعك الطازج: «لكنها مندفعة كلياً لمساعدة الآخرين لدرجة انها لا تفعل شيئاً لأجلها.»

«لطالما تساءلت عن عدم وجود رجل في حياتها.»

«لا تذكر هذا ابداً امام ماغي، فهذا واحد من المواضيع الخاصة بها جداً، تقول ان لا قانون في هذا العالم يوجب ضرورة الزواج ومشاركة حياتك مع آخر.»

ضحك دان وتصوّر ماغي تقول ذلك بنفسها. «اعرف هذا القانون وهي على حق.»

هتفت جيني بدهشة: «اتوافقها على ذلك؟»

«حاولت تطبيق مبدأ مشاركة الحياة مع زوجة ولم ينجح الأمر، اتذكرين؟»

«اعرف ان ذلك كان صعباً عليك بالبداية لكن كانت النتيجة شيئاً جيداً، لا؟ تبعاً لاستعدادك السابق ذاك لإعطاء الحب فرصة. ها أنت الآن لديك غاري وماثيو وأنا، الا تعتقد ان هذا يعني شيئاً؟»

هل حقاً مضى على مجيء جيني وماثيو اسبوعاً واحداً

فقط؟ لقد شعر بأنه قريب جداً من زوجة ابنه وحفيده وكأنه كان يعرفهما منذ زمن بعيد، وكان يتمنى بلهفة ان يساعداه على استعادة غاري.

«لم افكر بالأمر على هذا النحو من قبل، اظن من الطبيعي ان يتقبّل المرء الجانب السلبي لتجربة فاشلة.»

«هذا طبيعي جداً لمن هو متشائم مثلك ومثل ماغي.» اكدت جيني: «نحن المتفاءلون نرى دوماً الجزء المليء من الكوب.»

«ان العالم بموضع افضل بسبب المتفائلين امثالك.»

«غاري مثلي تماماً، لربما نتفق فقط على هذا الأمر، اظنني من اوفر الفتيات حظاً للقائي بشخص مثله وأنا في مثل هذا العمر، فالعديد من الناس يمرون بالحياة دون ان يختبروا روعة الوقوع بالحب.»

احاط دان بذراعيه كتفي زوجة ابنه بحنان أبوي وقال: «اظن غاري هو المحظوظ، اتمنى انه يكون ذكي كفاية ليدرك مدى حظه هذا.»

كافأته جيني بابتسامة رائعة وقالت: «انه حاد الذكاء ومتوقد الذهن. وقد ورث ذلك عنك.»

«تابعي أيتها الشابة، فالمديح يعطيك ما تشائين.»

سألته بابتسامة خبيثة: «ما أشاء؟»

«طبعاً، اذا ما كانت هناك اسباب واضحة.» اجاب وقد اصبح يشك بدوافعها.

«اذا كنت معجباً بماغي فلا تسمح لها بصدك، اعرف انها قد تكون عنيدة جداً احياناً.»

«وكذلك انا بدوري.»

بعد عدة ليال استيقظ دان فجأة من النوم على صوت بكاء

ماثيو وصراخه. هرع دان إلى غرفة الطفل وفتح الباب ليجد ماغي بالداخل قرب مهد ماثيو.

كانت تدندن له لحناً ناعماً وتربت على ظهره كي يعود للنوم.

لقد تمكنت من السيطرة على الوضع وعاد ماثيو للنوم، لذا عليه ان يعود ادراجه، لكنه لم يستطع اجبار نفسه على فعل ذلك. اشارت إلى دان لأن يلتزم الصمت، وضعت ماغي الغطاء على ماثيو وابتعدت لتغادر الغرفة، ثم اغلقت الباب خلفها بهدوء تام.

حين استدارت لتواجهه لاحظ دان شعرها المشعث قليلاً. كانت بشرتها خالية من مساحيق التجميل مظهرة قسماتها الشاحبة والجميلة وبالكاد بدت اكبر سناً من جيني بمظهرها هذا، كانت ماغي هيو اجمل امرأة سبق ووقعت عينا دان عليها.

هل تنتظر هي بلهفة مثله ان يقبلها؟ العناق السريع اللاهب والمؤثر؟

لم تقاوم عندما شدها ببطء إليه، ولا حتى عندما قبلها.

لكنها ابتعدت عنه تبعاً لتحذيرات عقلها، رفع دان نظره إليها بدهشة ولاحظ الحيرة في عينيها وكيف تبدّلت إلى غضب.

تراجع بتردّد عنها ووضع يديه على خصره قائلاً: «انا لن اعتذر عن تقبيلك، فقد اردت ذلك جداً.»

صدق تعليقه سرق انفاسها وجعل من المستحيل عليها النطق، فلقد ارادت حقاً تلك القبلة.

فقال بهدوء: «اننا راشدان ونعرف ان هذا سيحدث في

النهاية، فالجانبية الكبيرة بيننا من الصعب تجاهلها أو انكارها.»

اومأت ماغي برأسها وقد استعادت تعقلها ورزانتها وقالت: «ما نشعر به ليس اكثر من شيء عابر لا اكثر ولا أقل، سيحين وقت خروجنا من هنا بعد حوالي اسبوع سأغادر والبقية المكان. اظن بإمكاني السيطرة على نفسي ان استطعت انت السيطرة على نفسك.»

«أنا متأكد ان بإمكاني ذلك.»

«كل ما علينا فعله، هو ان نتحاشى مثل هذه المواقف.»

هل كانت تحاول اقناع نفسها أم دان؟

اخفضت نظرها وسألته: «لربما عليك من الآن فصاعداً النوم بالبيجاما. خاصة اذا رغبت بالتجول في المنزل وسط الليل.»

«سافعل كل ما بوسعي كي أكون لائقاً معك يا ماغي. فقد وضعت هذا الشورت سريعاً فور سماعي لصراخ ماثيو ونهوضي سريعاً من الفراش.»

«كانت لثة ماثيو تؤلمه بشدة لكنه عاد للنوم الآن. الأحرى بنا العودة للفراش والنوم بدورنا.»

«طابت ليلتك يا ماغي.»

«طابت ليلتك.» رأت من ملامح وجهه انه يحاول التوصل إلى قرار ما لذا فقد انسلت إلى غرفتها فوراً قبل توصله لذاك القرار. كانت قد دخلت واغلقت الباب خلفها واتكأت عليه بأمان حين ادركت انها لم تكن وحدها في الغرفة.

«ما الذي تفعلينه هنا يا جيني؟»

«ايقظني ماثيو، لكن حين رأيت دان قد اصبح في الممر لذا

دخلت إلى هنا. لم أرغب بإحراجه كما تعلمين. وحين رأيت سريرك الفارغ عرفت انك مع ماثيو لأنه هدأ ثانية.»

ضمت جيني يديها وابتسمت بخبث: «استرقت النظر لأرى ان كان دان لازال هناك وشاهدتك حينها تقبلينه وقررت الانتظار حتى يصبح الممر خالياً.»

قطبت ماغي وقالت: «هو كان يقبلني.»

وافقتها جيني: «نعم، وكانت قبلة.»

«ألم اعلمك عدم استراق النظر على من هم اكبر منك سناً؟»

«ثم خشيت من دخوله الى غرفتك، والآن اخبريني كل شيء عن هذا حتى اعود للنوم فلدي عمل في الصباح كما تعلمين.»

«أنت تقفزين للإستنتاجات يا جيني. لقد قبلني وهذا كل شيء.»

«هذا كل شيء؟» رددت جيني ضاحكة: «لربما كنت تخدعيني بهذه الكلمات قبل سنوات. لكني الآن اعرف الفرق بين التقبيل... والتقبيل. انا امرأة متزوجة، وأعي تماماً ما رأيته.»

تنهدت ماغي وقالت: «عودي إلى النوم يا جيني فأنا متعبة جداً ولا أرغب بمناقشتك الآن.»

«حسناً، لكني اعرف الأمر حين أراه.» فتحت جيني الباب وألقت نظرة إلى الخارج: «تباً، لقد عاد إلى غرفته.»

استلقت ماغي على السرير وقالت: «انت لم تتوقعي منه البقاء خارج باب غرفة نومي، أليس كذلك؟»

أجابت جيني: «بإمكان الفتاة ان تأمل، لا؟» وغادرت الغرفة قبل ان تصيبها الوسادة التي رمتها بها شقيقتها.

تنهدت ماغي وقد ادركت ان بعد ما رأته جيني لن يردعها

شيء عن محاولة تزويجهما، ولن يكون على ماغي، محاربة نفسها فقط بل محاربة محاولات شقيقتها أيضاً.

بعد عودة دان إلى غرفته، كان ما زال حائراً من التأثير الذي تتركه ماغي عليه. لقد اعتاد خلال سنوات وسنوات على البقاء حصينا امام أي امرأة والاحتفاظ ببرودة حيال أي منهن لكن ها هو وبعد اسبوع واحد من دخول ماغي حياته يرى كل حصونه تهتز.

يبدو انه استغرق بالنوم وخاطره يجول بتلك الافكار ولم يستيقظ الا على رنين ساعة المنبه صباح اليوم التالي، استحم وحلق ذقنه ثم راجع دفتر مواعيده فوجد انه حر هذا الصباح. بإمكانه قضاء بضع ساعات بالتمرين في غرفة الرياضة في القبو، لكن ان رأته ماغي وعرفت بوجوده في المنزل فستعتقد انه قام بهذا عمداً لأجلها.

هذا منزله هو ولن يسمح لماغي أو لغيرها بفرض شروطها على بقائه فيه أو عدمه، ارتدى الملابس الرياضية ثم انتعل حذاء الرياضة قبل ان يفتح باب غرفته لينظر إلى البهو، وجده خالياً فنزل السلالم متجهاً إلى غرفة الرياضة.

بوصوله اليها وجد ماغي تعدل جهاز الركض، كانت سماعات الاذن على أذنيها، استدارت فجأة لترى دان يحدّق بها.

سألته وهي تبعد سماعات الأذن وتتركها مدلاة حول عنقها: «ما الذي تفعله في الأسفل هنا؟»

سار إلى مقعد حمل الاثقال وجلس قبل ان يقول: «لدي بعض الوقت الاضافي هذا الصباح فقررت القيام ببعض التمارين الرياضية. والسؤال الأفضل هو ما الذي تفعلينه انت هنا؟»

تردّدت ماغي، فهذا منزله وهذه قاعته الرياضية ولا يحق لها ابداً طرح هذا السؤال عليه.

«حسناً، انها تمطر وفكرت باستخدام جهاز الركض هذا بدل الركض الصباحي المعتاد، قلت لي ولجيني ان نتصرف وكأننا في منزلنا.»

«أجل، صحيح، تابعي ما تفعلينه ولا تكترثي لوجودي، لقد تفاجأت بدوري لرؤيتك هنا، لم اعرف انها تمطر بالخارج فأنا لم انظر عبر النافذة.»

«افضل الركض في الطبيعة.» قالت مخافة اعتقاده انها رتبت عمداً هذا اللقاء.

«صحيح.» قال دون ان يتفقد الاوزان التي كان سيرفعها، ثم بدا غاضباً.

قالت: «لم اعتقد انك تستخدم هذه الأجهزة.»

«لا افعل غالباً رغم انني احب ذلك. عادة لا املك الوقت لذلك.»

«قالت جيني انك لا تنزل إلى هنا أبداً. وكانت قلقة بعض الشيء لأن كل ما تفعله هو العمل فقط.» قهقهت ماغي وتابعت: «كانت تلمح لضرورة اصطحابي لك اثناء ركضي صباحاً.»

لاحظ دان انها تركض بسرعة ورغم ذلك كانت انفاسها عادية وغير لاهثة بينما هو انهكه التعب، لذا قرر ان يستيقظ من الآن فصاعداً قبل نصف ساعة من موعده المحدد كي يتمرن بشكل مستمر.

«أنا بصحة جيدة. بالنسبة لرجل في سني.»

فجأة بدا وكأن الأوزان هزمته ولم يعد قادراً على رفعها، وأرخى ذراعيه فوق رأسه.

أوقفت ماغي جهازها على الفور واقتربت منه قائلة: «هل انت بخير؟ هل تسببت بتمزق عضلي ما في ذراعك؟»

«لا اظن ذلك. لكني قد لا ارفع أي وزن بعد الآن.»

ضحكت ماغي معلقة: «كان عليك تحضير نفسك أولاً.»

«سأستلقي هنا لبعض الوقت إلى ان اعود إلى وضعي الطبيعي.»

توقفت ماغي عن الابتسام وسألته: «هل لديك أي مراهم أو زيوت طبية؟»

«قال الرجل الذي اعد هذه القاعة ان فيها كل ما قد احتاجه، اظنني رأيت بعض الأدوية بتلك الخزانة هناك.»

تفحصت ماغي الخزانة لكن الزيوت التي وجدتها لم تكن طبية اطلاقاً.

«لا أرى أي منها.»

«ماذا يوجد داخل كل هذه الزجاجات؟»

تناولت ماغي واحدة منها وقرأت المدوّن عليها.

«زيت الفريز بالموز، زيت غير دهني ينفع لكل الاستخدامات.»

ضحك دان وقال: «مادام زيتاً فقد يساعد.»

«اشك بذلك.» استدارت لتملأ الحوض بالمياه الدافئة: «هذا سيساعد.»

استدار وحاول بجهد الجلوس، خلع حذائه ثم انحنى للأمام متكئاً إلى الحائط.

«استطيع النهوض.» كان يشعر انه أقوى الآن لكنه استمر بالتظاهر بالضعف لغاية في نفسه.

«هراء، انا ممرضة واعرف ما افعله.» قالت وهي تنحني

قربه: «ضع ذراعك حول عنقي، واستخدم الحائط للتوازن وسيكون بإمكاني رفعك.»

«سوّذين ظهرك، فوزني ليس بالخفيف.»

«لا استخدم ظهري بل قوة ساقي.» وضعت يده على كتفها: «احمل المرضى على الدوام. الآن عندما اصل للرقم ثلاثة تنهض.»

رغم عدم حاجته للمساعدة الا ان دان سمح لها بمساعدته وبلحظات كانا يقفان وجهاً لوجه.

«هذا اقل ما يمكنني القيام به. لولا تعليقاتي الخبيثة حول الصحة والرياضة لما بالغت بتمارينك تلك.»

تعالى في تلك الاثناء طرق على الباب، وابتعدا فوراً عن بعضهما. ثم قال: «أدخل.»

«ماغي، ظننتك في الخارج تركضين.» تابعت جيني بريقها المعتاد: «وجدت حقيبة دان في البهو وحين لم اجده في أي مكان آخر فكرت بالبحث عنه هنا. اردت اخباره ان الفطور جاهز، لم اعرف انكما هنا...»

«كانت السماء تمطر وكان دان كريماً كفاية لمشاركتي باستخدام هذه الادوات والاجهزة الرياضية معي هذا الصباح. عليك تجربة هذا الحوض الدافىء احياناً، انه يبعث على الاسترخاء.»

قالت جيني: «سأفعل لكن اظنني سأخلع حذائي أولاً.»

قالت ماغي وهم الى طاولة الفطور: «دان بحاجة للمزيد من التمرين. هذا كل شيء.»

«لربما عليك البدء بالجري صباحاً يا دان. وستشرح لك ماغي كيف تستعد أولاً ثم كيف تركض بشكل سليم.»

وجد دان ان هذه فكرة جيدة، فقد اكتشف ان انجذابهما قد يكون اعمق مما يتصور. أراد التعرف إلى ماغي اكثر، اراد ان يعرف سواء اكان هناك شيئاً بينهما يستحق التعميق والتعزيز.

نظرت ماغي إلى وجهه ثم إلى وجه شقيقتها: «دان كبير كفاية ولا يحتاج إلى مساعدتي.»

«بل احتاجها. قلت بنفسك انني لا امارس التمارين الرياضية الكافية.»

«حسناً.» وافقت بتردد بعد ان ادركت ان لا سبيل أمامها للتهرب من هذا الموقف: «لكن يجب ان تعدني انه حين اطلب منك التوقف، ستتوقف.»

ابتسم دان قائلاً: «لك ذلك. والسيد النبيل يطيع دوماً طلب السيدة بالتوقف.»

الفصل الخامس

«والآن. الساق الأخرى.»

كان هذا عملاً شاقاً بالنسبة لدان وتساءل ما الذي دفعه للقيام به من الأصل.

«انعشي ذاكرتي، لماذا تفعلين هذا؟»

«اركض كي احافظ على نشاطي فاتمكن من الاهتمام بماشيو طيلة النهار وبالقيام بعملي كل مساء.»

«لكن أليس الاستيقاظ في السادسة والنصف صباحاً وقتاً مبكراً كونك تعملين من الثالثة حتى الحادية عشرة ليلاً؟»

«اعتدت على ذلك.» قالت ماغي ذلك وبدأت بالسير. اسرع دان خلفها، وحين وصل إلى جانبها قال: «انت محقة، انا احتاج فعلاً للتمرين.»

ركضا لبعض الوقت لكن قوة دان لم تكن تتزايد بل على العكس كانت تتناقص بسرعة، نظر إلى المرأة قربه ولاحظ بمرارة ان حتى انفاسها كانت عادية.

خطط دان لقضاء هذا الوقت معها لسبب معين. اراد محادثتها والتعرف اكثر اليها. ففي المنزل لا يبدو الوقت مناسباً لهكذا مناقشة. والآن تسنت له الفرصة لكنه لم يكن قادراً على طرح أي سؤال.

كل ما يعرفه عن ماغي هو ما قالته جيني عنها وهو لم يكن معتاداً على تكوين الآراء اعتماداً على آراء الآخرين.

كانت ماغي مصممة كما يبدو على إبقاء مسافة بينهما

وهو كان مصمماً على قطع هذه المسافة. رغم تظاهرها بعدم الاهتمام لكن ماغي لاحظت تلاحق انفاسه المتزايدة، مما يعني تسارع نبضات قلبه بشدة.

«يكفي هذا للمرة الأولى، الأفضل لك الاستدارة والعودة للمنزل.»

لم يكن دان مستعداً لتركها بعد: «الا يمكننا الجلوس والاستراحة لدقائق قليلة؟»

«ان فعلنا فستتشنج عضلاتنا.»

«لا بأس. لا يجدر بنا القيام بذلك.» لم يكن لدان القوة الكافية لمجادلتها لذا فقد استدار عائداً.

نادته ماغي قائلة: «خفّف من سرعتك تدريجياً حتى تصل لمرحلة المشي السريع، وبوصولك للمنزل قم ببعض الحركات لكل ساق.»

ما اسهل القول عند الفعل، فكر دان بإرهاق، فالآنسة لم تكن تتنفس بصعوبة بالطبع سيكون تمرينه افضل في الغد. الغد؟ هل هو مجنون؟ هل سيعاود تعريض نفسه لهذا الإذلال ثانية؟

اجل، سيتابع ذلك إلى ان يثبت لماغي ولنفسه ان بإمكانه قطع المسافة بينهما، لعل هذه كانت مشكلته بقبوله التجاذب الحاصل بينهما منذ البداية، هل اعتقد انه كان كبيراً بالسن لفتاة شابة كماغي؟ كانت في الثالثة والثلاثين.

إذن فهي ليست يافعة جداً. هو عمره تسعة وثلاثين فقط، إذن فهو ليس متقدماً بالسن جداً، بالطبع بالنسبة لجيني هو في متوسط العمر.

بالرغم من الألم الجسدي الا ان دان تحمل ذلك في المراحل الأولى إلى ان اصبح جريه صباحاً مع ماغي روتيناً، قام

بالتمرن سراً لبضع ساعات على جهاز الركض في القاعة الرياضية مما ساعده على التحسن اثناء مشاركتها الركض صباحاً، لا بد ان ماغي لاحظت التحسن هذا.

استقرت جيني وماثيو بشكل مريح في منزل لوكاس وبحلول صباح يوم السبت شعر دان ان وجودهم حوله كان أمراً رائعاً، كان يتطلع بشوق لعطلة نهاية الاسبوع كي يمضي وقتاً اطول في المنزل، في الماضي كانت عطلة نهاية الأسبوع تعني قيامه بعمله في المنزل بدل المكتب فقط.

لكن صباح يوم السبت هذا كان العمل بعيداً جداً عن تفكيره. كان يجلس وماثيو على الأرض في وسط غرفة الجلوس وبيده كتاباً يقرأ منه بصوت مرتفع.

«تاء لتفاحة.»

وضع ماثيو اصبعه على الصورة وتمتم: «أوبا.»

لم يكن لدى دان خبرة مع الاطفال لكنه كان واثقاً ان حفيده سيكون محامياً رائعاً بمهاراته الكلامية تلك.

«جيد يا ماثيو.» مدحه دان وهو ينتقل للصفحة التالية: «باء مثل باب.»

اشار ماثيو إلى الشكل المرسوم وقال: «باب.»

«انت طفل ذكي، اليس كذلك؟» قال مداعباً رأس ماثيو وانتقل إلى صفحة أخرى: «جيم كما في جمل.»

صفّق ماثيو بيديه وصاح: «صوص.»

«اقتربت كفاية.» وافقه دان مبتسماً.

مرت ماغي بالغرفة حاملة ثياب التمريض البيضاء وهي في طريقها إلى غرفة الغسيل.

«أنت تفسده بالدلال، بإمكانه قول جمل كما تعلم.»

«لا اشك بذلك اطلاقاً.» قال دان ذلك وماثيو يدفع الكتاب بعيداً متناولا لعبة أخرى: «تعالي والعبي معنا.»

شعرت ماغي بميلها لتفعل ذلك، لكنها كانت عاقلة كفاية لإبقاء مسافة بينهما حتى ولو لم يفعل دان.

راقبته مع ماثيو وادركت انه يحب الطفل ويهتم به حقاً، كان يحاول جاهداً ليكون جداً حقيقياً رغم عدم معرفته السابقة اطلاقاً بالسبيل لذلك.

لعله لم يكن والداً حقيقياً لغاري لكنه شق طريقه إلى قلب جيني بسهولة بمحاولاته الصادقة والجادة في ان يكون جدّاً حقيقياً لماثيو، وماغي تعجب بهذا وتمتعض منه في ذاته. كانت مشاعرها المتناقضة تدفعها لقول اشياء وللقيام بتصرفات دون التفكير المسبق بها.

«لا وقت لدي للعب. فعلي غسل هذه الأثواب.»

«لن تغسليها بيديك. ضعي اثوابك في الغسالة الاوتوماتيكية وستقوم هي بالباقي.» تناول دان لعبة القطارات من ماثيو وبدأ بتركيب السكة متابعاً: «ان لم تشاركينا اللعب فسأعتقد وماثيو انك تتجنبينا.»

رمته ماغي بنظرة من فوق الملابس البيضاء وغادرت الغرفة، هي لم تكن تحاول تجنب ماثيو لكن لا يمكنها قول الشيء ذاته حول دان. عليها استغلال كل فرصة لتذكيره ان هذا الوضع مؤقت فقط.

كان السبب بسيطاً كفاية، فقد اتضح ان دانيال لوكاس ليس الرجل الذي توقعته ان يكون، فهو لم يكن فقط جذاباً وذكياً بل يملك ايضاً شخصية مقنعة، لم يكن كما توقعته ان يكون.

بوصولها إلى غرفة الغسيل وجدت جيني هناك تتناول ملابس الطفل من الغسالة لتضعها في النشافة.

«اليس دان رائعاً مع ماثيو؟»

لم تعلق ماغي واكتفت بالقول: «مهتماً كفاية كما اظن. حالياً.»

«اظنك لا تريدين الاعتراف انك كنت مخطئة بشأنه يا ماغي.»

«انت لا تعرفين عنه اكثر مما اعرفه يا جيني، انه يكشف لنا عن ذاته بالمقدار الذي يريد فقط. حاولي التعمق اكثر بذلك لتعرفي من هو حقاً فتجدينه يتقوقع على ذاته بسرعة البرق.»

«لعله فعل في البداية، لكنه تغير منذ مجيئنا، الا ترين الفرق؟»

«قد يكون هذا مجرد تمثيلاً.»

ضحكت جيني وقالت: «انت كثيرة الشكوك، الا يسعك تقبل دان على ما هو عليه؟ رجل وحيد عزل نفسه عن الآخرين لمدة طويلة جعلته يعتقد بعدم حاجته لأي شخص آخر. لكن الحقيقة هي انه يحتاجنا بنفس المقدار الذي نحتاجه.»

«هنا أنت مخطئة يا جيني. دانيال لوكاس لا يحتاجنا اطلاقاً، فهو يهتم بنا مؤقتاً، وسيهتم بشيء آخر الشهر المقبل.»

اصرت جيني: «أنت المخطئة، غاري بحاجة إليه.»

«الأفضل لك عدم تكرار هذا امام غاري.» قالت ماغي ذلك بعصبية وهي تضع الاثواب في الغسالة.

«الآن بعد سماعي لسرد دان حول ملابسات وظروف طلاقه، اظنني اكثر استعداداً لتصديقه من تصديق رواية دورين.» قالت جيني وهي تغلق باب النشافة: «لا اظن ان

دان هجر غاري اطلاقاً، عدم نضوج دورين وتدخلات عائلتها السبب في تباعدهما، في الواقع دان هو من تعرض للهجر.»

«تابعي احلامك يا جيني كان دان رجلاً ناضجاً وكان قادراً على المحاربة للحصول على حقوقه.»

«لكنه لم يكن ثرياً حينها، الا تدركين السلطة شبه المعدومة للفقير بمواجهة الاثرياء؟»

«فور ان اصبح محامياً كان قادراً على تغيير الاوضاع، كان قادراً على معاودة الاتصال بغاري، لكنه لم يفعل، هل سألته عن السبب؟»

هزت جيني كتفيها وردت: «هذا لا يهم حقاً، انه والد غاري وهو رائع مع ماثيو، وقد قررت جمع شمله مع غاري.»

ضحكت ماغي وقالت: «ما تخططين إليه لهو مستحيل، فمن الصعب ان تجمعي بينهما.»

«ما احتاجه هو التخطيط الدقيق، وهنا يأتي دورك انت.»

«آه، لا. ابقيني خارج هذا الموضوع، أنا لا اتدخل بحياة الآخرين أبداً.»

«حقاً ومنذ متى؟»

اتكأت ماغي على الغسالة ومدت ذراعيها أمامها: «منذ ان قررت جمع شمل هذه العائلة الصغيرة.»

«هيا يا ماغي أنا بحاجة لمساعدتك.»

«لست مستعدة للتورط بأي من مخططاتك الغبية، خاصة تلك التي سيتأتى منها عواقب وخيمة وقاتلة.»

«أنت تبالغين.»

«حقاً؟»

«إذن عليّ القيام بهذا بمفردي ودون مساعدتك.» داهم الشك ماغي، فليس من عادة شقيقتها الاستسلام سريعاً هكذا.

«قد تنعكس خطتك سلباً وقد يتأذى الكثيرون بمن فيهم ماثيو نفسه.»

«هذا لن يحدث أبداً. فور ان يعرف غاري ان والده لم يهجره ولم يتخلى عنه، فسيتمكن من التغلب على المرارة التي لازمته طويلاً.»

«فكري بالأمر يا جيني. احياناً يصعب الاستغناء عن المرارة خاصة اذا عاشت وترعرعت في القلب لفترة طويلة، انها كالورم الذي يتضخم شيئاً فشيئاً.»

تدحرجت دمعة على خد جيني وهي تقول: «عليّ المحاولة. هذه فرصتي الأخيرة لمنح ماثيو عائلة كبيرة. هل انت معي أم لا؟»

وضعت ماغي ذراعها على كتف شقيقتها بحنان وقالت: «سأساعدك بأي طريقة ممكنة.»

«انت بأمان معي يا شقيقتي.»

«تلك الفكرة تغمرني بالثقة والأمان، آمل فقط انك تعين ما تفعلين.»

أكدت جيني مبتسمة: «أنا كذلك.»

«كنت تخططين لهذا منذ فترة، أليس كذلك؟»

طأطأت جيني برأسها موافقة واعترفت: «منذ اليوم الأول لوصولنا. وقد فكرت كثيراً ومطولاً بعملية الجدّ هذه.»

«وما هي أولى خطواتك؟»

قطبت جيني وقالت: «كنت آمل ان تطلعيني انت عليها.»

ضحكت ماغي: «يا لك من صاحبة خطط ممتازة.»

«إذن من أين نبدأ؟»

«تعرفين انني مستعدة للقيام بأي شيء يسعدك لكن في هذه المسألة بالذات حتى أنا لا يمكنني النجاح بذلك.»

«سأتوصل إلى فكرة ما.»

أعلنت جيني بتفاؤل الا زال دان وماثيو يلعبان في غرفة الجلوس؟»

طأطأت ماغي برأسها: «تركتهما هناك. كان دان يوصل سكة القطار الحديدية.»

«جيد لنذهب ونشاركهما اللعب.»

* * *

«هل خططت لشيء ما لأجل أمسية العيد يا دان؟»

سألت جيني فور عودتها للطاولة بعد وضع ماثيو في مهده لأجل قيلولة ما بعد الظهر.

«لا، لم افكر بذلك.»

«هل لديك أي شيء بهذا الخصوص؟» سأل بتردد مدركاً طريقة جيني الرائعة بالإقناع «فكرت بأمسية تقليدية بتحضير ديك الحبش وما إلى ذلك. ما رأيك بذلك؟»

«طلب طعام جاهز؟»

عنفته جيني بنظرتها وقالت: «سأشعر وماغي بالإهانة حينها، وأيضاً لقد اشترينا كل ما هو مطلوب ونحن نحضر افضل ديك حبش في كل انحاء هذه الولاية.»

ابتسم دان قائلاً: «كنت احاول فقط توفير هذا العناء عليكما، لن انسى ابداً العناء الذي كانت تتكبده والدتي بتحضير وجبات العطلات الخاصة.»

تنهدت جيني وقالت: «اذكر كل الروائح الرائعة التي كانت تملأ المنزل آنذاك مثل الكعك وفطيرة التفاح.»

قالت ماغي: «هذا لأنك كنت طفلة كل ما انكره انا هو الصحون المتسخة اكواماً منها. كنت اصغر سناً من ان تساعديني لذا لم تبق هذه الذكريات الأقل سعادة في ذاكرتك.»

قطبت جيني قائلة: «انتما متشابهان جداً. انتما لا تفكران بالأشياء الجميلة بل تتذكران كل العمل والتعب.»

اعترفت ماغي: «حسناً. اذكر الأوقات السعيدة أيضاً، اذكر حين تسللت إلى سلة كعك العسل والتهمت نصفها تقريباً قبل ان تصل والدتي وتنقذ الباقي.»

«آه، لا تذكريني بذلك.»

ضحك دان وهذا شيء كان يقوم به كثيراً مؤخراً، وكان قد نسي بالسابق جمال الضحك.

«وهل اصبت بالمرض من ذلك؟»

قالت ماغي: «قضت ما تبقى من النهار في المرحاض.»

«اعتقد انك كنت فتاة فاسدة وانت طفلة يا جيني.»

«كانت كذلك حقاً.» وافقته ماغي: «كانت ظريفة جداً وكان بامكانها النجاة من أي ورطة. احياناً حين يكون ماثيو بأروع لحظاته، أعود بالذاكرة للماضي وأرى جيني طفلة مكانه مجدداً.»

توقف دان عن الضحك حين أدرك جهله التام بخصوصيات طفولة غاري، ماالأشياء الطريفة التي قالها غاري حينها؟ ما المشاكسات التي قام بها؟ وادرك انه

يرغب بشدة معرفة كيفية تربيته، فذاك قد يساعده على معرفة الرجل الذي اصبح عليه.

هتفت جيني: «لا تطلعي دان على كل هذه القصص عني، انتظري حتى تتعمق معرفته بي اكثر.»

نهضت ماغي وبدأت بتنظيف الطاولة: «لا املك وقتاً لسرد كل محطات سجلك وأنت طفلة، فعلي الالتحاق بعملي.»

«سأساعد جيني بهذا. اذهبي انت واستعدي لعملك.»

فور مغادرة ماغي جمع دان الصحون عن الطاولة وقال لجيني: «سأغسلها ورتبيها انت في الجلاية.»

«هل انت معجب بشقيقتي يا دان؟» سألته جيني بصراحتها المعهودة.

«أجل. لماذا؟»

«لأنني رأيتكما تتبادلان القبل وكنت اتساءل منذ ذلك الحين. هي شقيقتي وانت والد زوجي ولي الحق بمعرفة سواء اكنت معجباً بها أم لا. أو سواء انك تستغل الوضع الحالي فقط.»

قال بصدق: «ما كنت لأفعل هذا ابداً. هذا ما ظننته بدوري.» وافقته وانتظرت بصبر متابعته للحوار.

لم يكن دان متأكداً من رغبته بشرح تصرفاته الأخيرة لجيني لكنه فعل: «حين بدأت بتمارين الرياضية...»

قاطعته بسعادة: «إذن كنتما تتمرنان معاً هناك.»

«لم نكن نتمرن بل كنا نتبادل القبل، هذا كل شيء.»

«هذا ما قالته ماغي حين سألتها هذا السؤال.»

«أنا سعيد لأن كلامها يتطابق وكلامي. هل أنت راضية الآن؟»

«ليس فعلاً، ما احتاج لمعرفته حقاً هو حقيقة شعورك نحو ماغي.»

تمنى دان لو كان يملك الجواب لهذا السؤال: «انها من النوع الذي يصعب معرفته.»

«قالت الشيء ذاته عنك.»

سألها بفضول: «وماذا قالت عني أيضاً؟»

«هيا يا دان، انت لا تريد خداغي للثقة الأخوية أليس كذلك؟ اريدك فقط ان تعرف انني سأكون سعيدة جداً بحال... حسناً... انت تعرف... بحال توفقتما بعلاقتكما انت وماغي.»

ربت دان على كتفها وقال: «يا لجيني المسكينة، لم اعتقد يوماً انني سأراك تفتقرين للكلمات هكذا، هل أتدخل إذن في شؤون العائلة؟»

قبل ان تتمكن جيني من الرد دخلت ماغي المطبخ بزي التمريض الأبيض الجميل.

«هذه مناسبة نادرة الحدوث، ان كان ما قاله دان صحيحاً.» علقت ماغي بمرح: «أي هرة فضولية سرقت الكلمات منك؟»

رنين الهاتف المفاجيء انقذ جيني فسارعت للرد: «انتظر لحظة.» استدارت لتواجه شقيقتها: «انها شركة التصليحات والترميم.»

«الأرجح انهم يريدون التأكد من وجودنا في المجمع يوم الجمعة لاستلام مفتاح شقتي الجاهزة.» قالت ماغي بفرح وتناولت السماعة من جيني. فيما هي تصغي، تلاشت ابتسامتها ليحل مكانها التقطيب.

«وما مدة التأخير التي تتحدث عنها؟»

بعد لحظات اعادت ماغي السماعة إلى مكانها بعنف وهي تقول بحدة: «هذه كارثة.»

«ماذا؟» سألت جيني بقلق: «هل وجدوا ان معظم اغراضنا لن تكون نافعة بعد تضررها من الدخان؟»

«لا، كل شيء بخير. المشكلة ان الضرر اكبر مما توقعوا وسنحتاج لوقت اطول لاسترداد اغراضنا وشقتي.»

سألت جيني: «كم ستطول المدة؟»

«لا يعرفون بالضبط. بعد الانتهاء من التنظيف، يجب وضع كل شيء في حجرة الأوزون لمدة أسبوع على الأقل.»

سألت جيني: «حجرة الأوزون؟ وما هي تلك؟»

«لا فكرة لي عن ذلك، لكن على كل ملابسنا واثاثنا دخول تلك الحجرة.»

مع ان هذا التطور كان يغضب ماغي الا ان دان كان سعيداً لبقائهم معه فترة اطول. فبعد رحيلهم سيفتقد للفوضى وللسعادة التي وجدت حوله بوجود ماثيو وجيني في المنزل.

كما سيفتقد ماغي، كان يشعر انها اضعف وأرق من الصورة القاسية التي تظهرها للآخرين. وتساءل ان كان الأسبوع الاضافي هذا كافياً لنجاحه بخرق حصون دفاعاتها، كما وتساءل ان كان حقاً يرغب بذلك وبما كان سيعني ذلك بحال نجح.

كان دان في وضع حرج، فبالرغم من اهتمامه الواضح بهذه المرأة الا انه لازال قلقاً حيال هذا التجاذب بينهما.

سأل: «إذن ستضطرون للبقاء هنا لفترة اطول، هل هذا الأمر بغاية السوء؟»

«ليس بالنسبة لنا.» سارعت جيني للقول: «لكن تعتقد ماغي اننا تخطينا مدة ترحيبك بنا.»

قالت ماغي: «هذا صحيح. اظن علينا الانتقال إلى شقة مفروشة.»

قالت جيني بسرعة: «لكن علينا التوقيع على ورقة ايجار ودفع مبلغ تحت الحساب، وهذا سيكون مكلفاً جداً.»

أجابت ماغي: «بوسعي الاهتمام بهذه المصاريف.»

أصرت جيني: «أنا لا يمكنني تحمل هكذا مصاريف ولن اسمح لك بأن تدفعيها وحدك.»

أشارت ماغي بحنق: «لكنك مستعدة لجعل دان يدفع.»

«اتفاقنا يحمل الفائدة للطرفين.» قالت جيني بثقة وقد سر دان لسماع زوجة ابنه تقول هذا وسارع للقول: «اريدكم جميعاً ان تبقوا يا ماغي، فقد بدأت للتو انجح بدور الجدّ ولا زال علي تعلم الكثير ومعرفة المزيد عن ماثيو. لا تأخذيه بعيداً عني منذ الآن.»

سألته جيني: «اواثق انك لا تمانع ببقائنا يا دان؟»

«تمام الثقة.»

«إذن فنحن نقبل دعوتك.» قالت جيني بإشراق: «شكراً لك.»

تأجج الغضب داخل ماغي لما اعتبرته مؤامرة لإبقائها في منزل دانيال لوكاس رغماً عنها.

الفصل السادس

«ماثيو.» عنفته جيني بلطف: «إن لم تلعب هناك باشيائك، فسأتعثر بك أثناء تحضيري للكعك.»

نظراً لتشوشها وانشغالها نسيت تخفيف نار الفرن فاحترق بعض الكعك.

صاحت بحنق: «تباً.»

طالب ماثيو: «أكل.»

حذرته: «ليس بعد وإلا فلن تتناول العشاء. سنأكل حين يعود بابا إلى المنزل، والآن تابع اللعب أيها الصغير.»

لاحظت ماغي ابن شقيقتها يقطب ويوشك على البكاء، فمسحت يديها بالمنشفة ومدت ذراعيها إليه: «تعال يا حبيبي، ستعطيك الخالة ماغي كعكة صغيرة تخفف بها من جوعك.»

قطبت جيني قائلة: «انه بالكاد جائع، أصبح نزقاً منذ مجيئنا إلى هنا. أنت ودان تفسدانه بالدلال.»

«لطالما كان نزقاً.» أجابتها ماغي وهي ترفعه بين ذراعيها.

تمتم الصغير: «أكل، ماغي.»

«مجرد كعكة واحدة.» ردت ماغي وهي تضعه في كرسيه: «هذه ليلة الخميس، أتعرف ما معنى ذلك؟»

نظر ماثيو إليها مستفسراً.

«معنى ذلك ان والدك سيتصل قريباً، وحينها قد تهدأ أعصاب والدتك.»

عارضتها جيني: «أعصابي هادئة.»

«بل ليست كذلك، كما وأنك شديدة التوتر وتشعرين بالذنب بسبب الخديعة التي تدبرينها لزوجك.»

«هذا غير صحيح، ليس لدي أي شعور بالتوتر والذنب حياله.»

«آه.»

«لعلي متوترة بعض الشيء. أتظنين ان غاري سينزعج لمعرفته بأننا نقيم في منزل دان؟»

«لن استخدم كلمة ينزعج فقط لو كنت مكانك.»

أصرّت جيني: «سأجعله يفهم وسترين.»

«ما سأراه أعظم عرض للألعاب النارية المتفجرة منذ يوم الاستقلال، فغاري ليس من نوع الرجال الذي يحبذ تلاعب أحدهم به.»

احتجت جيني: «أنا لا أتلاعب بأحد. بل أساعد.»

قالت ماغي: «اختبئي خلف ما تريدين من التعابير، لكن غاري سيسمي هذا تلاعباً.»

نظرت جيني إلى ماثيو الذي بدا متلهفاً لما تطعمه إياه خالته وقالت: «آسفة يا طفلي، أظنك جائعاً بالفعل.»

انحنت وقبلته على وجنته متابعة: «الأمر فقط ان العيد بعد اقل من اسبوع وأنا مشتاقة كثيراً لبابا.»

سأل ماثيو: «بابا؟»

امتلأت عينا جيني بالدموع.

سارعت ماغي لطمأنتها: «لا تقلقي يا أختي لن يطول الوقت قبل أن يعود غاري إلى المنزل نهائياً. وإن حصل على المنحة الدراسية التي تقدم بطلبها فذلك سيكون أفضل بكثير.»

وضعت ماغي ذراعها برأفة حول كتفي شقيقتها وقد ادمعت عيناها بدورها، هي لا تعرف لماذا كانت تبكي، أرادت اجتماع شمل غاري وجيني مجدداً، لكنها ستشتاق لهما فور ابتعادهما عنها. ولدى عودة غاري للاهتمام بعائلته لن يعودوا بحاجة إليها.

نقّل ماثيو النظر بين والدته الباكية وخالته الدامعة وانخرط بدوره في العويل.

«ما الذي يحدث هنا؟» سأل دان بدهشة وهو يدخل المطبخ. لم تجبه أي منهما لذا فقد حمل حفيده عن الكرسي وبدأ يتفحصه مخافة أن يكون قد تعرض لأذى ما.

سأل دان: «هل حدث شيء ما لماثيو؟»

«اعتنيا بالطفل.» قالت جيني من بين دموعها وسارعت بالخروج من المكان.

أصرّ دان بقلق: «ما به؟»

شعرت ماغي بالاحراج لرؤية دان لها وسط هكذا انفعال فمسحت عينيها فوراً وكأن دموعها لا اهمية لها.

«انه بخير، لكنه يريد اللعب ونحن مشغولتان.»

تقدم دان عبر الغرفة وربت على كتف ماثيو قائلاً: «لا تبك أيها الصغير، كل شيء على ما يرام. جدك يحملك الآن، قل لي فقط ما الذي يزعجك وسأتدبر أمر ذلك على الفور.»

توقف ماثيو عن البكاء ونظر إلى جده قائلاً: «بابا.»

الحب المتبادل بين الحفيد والجدّ اوجع قلب ماغي. ان ثقة ماثيو بقدرة جدّه على حل كل المشاكل أزعجها دون أي سبب واضح. لذا فهي لم تختر جيداً كلماتها حين قالت: «ليس هذه المرة أيها المحامي اللامع. جيني تشعر بالوحدة

بعيداً عن زوجها وحتى أنت لا تستطيع حلّ هذه المشكلة.»

لم يتفاجأ دان بهذا فهو يعلم مقدار حب جيني لغاري وكم تفتقده. فسأل بهدوء: «هذا يفسر دموع جيني وماثيو لكن ماذا عن دموعك أنت؟»

سألته ببراءة: «ماذا؟»

«ما السبب لدموعك يا ماغي؟ لماذا تبكين؟»

«لم أكن ابكي.» لكن نظرة دان اخبرتها بأنه لا يصدقها، فتابعت: «ليس بكاء بمعنى الكلمة.»

«وما هو البكاء بمعنى الكلمة؟ كنتم أنتم الثلاثة تبكون ظننت... لن أقول ما ظننت.»

«جيني بدأت بكل هذا. بدت حزينة جداً فلم استطع تمالك نفسي. وماثيو لا يحب عدم المشاركة لذا فقد انضم إلينا. وانتهت القصة.»

قال دان: «جيني تجهد نفسها بالعمل.»

قالت ماغي: «العيد بعد اسبوع فقط ولا زال أمامنا الكثير لاعداده. أظن ان العطلة المقبلة هي المسؤولة عن ذرف الدموع التي شهدتها، كانت تحاول تحضير حلوى أمسية العيد، وفطيرة العيد هي الحلوى المفضلة لدى غاري.»

اعترف دان: «ولي أيضاً.»

ابتسمت ماغي وقالت: «هذا شيء تشتركان به إذاً. على فكرة، ما الذي جعلك تأتي إلى المنزل؟»

أجابها: «لا عمل لدي بعد ظهر هذا اليوم، لذا فكرت بالمجيء إلى المنزل ومساعدتكم.»

لكنه لم يخبرها ان سكرتيرته تجشمت العناء الكبير كي يكون حرّاً، ولا انه قد اشتغل طيلة فترة الغداء.

«ماما.» صاح ماثيو وارتمى على جيني لحظة عودتها للمطبخ.

أخذته جيني وقبلته قائلة: «نحن سعداء لعودتك باكراً إلى المنزل يا دان، أليس كذلك يا ماثيو؟»

صفق ماثيو بيديه.

سألتها ماغي: «أتشعرين بتحسن؟»

ابتسمت جيني لشقيقتها وقالت: «أنا بخير، كنت أشعر بالأسى الشديد على نفسي فنسيت للحظة كم أنا محظوظة وشاكرة لما أنا عليه.»

مجدّداً فكر دان كم ان غاري محظوظاً لايجاده فتاة مثل جيني. فهو كل يوم يكتشف شيئاً جديداً فيها مما يزيد اعجابه بها. وكان يتمنى عودة ابنه سريعاً للمنزل، إلى حيث ينتمي كي ينعم بسعادة التواجد وسط عائلته الرائعة هذه.

لو كانت دورين مثل جيني، لطيفة وغير أنانية، لما اضطر ليكون غريباً عن ولده الوحيد. ولما استلقى ليال طوال متسائلاً حول ما سيكون لقائهما الأول! هل ستتمكن جيني من اقناع غاري بمنح والده فرصة أخرى ليكون فرداً من عائلته؟

اخترق رنين الهاتف صمت المكان منتشلاً دان من أفكاره. اسرعت جيني ورفعت سماعة الهاتف: «آه يا غاري لكم يسرني سماع صوتك.»

حاول ماثيو سرقة السماعة من يدها وهو يتمتم: «بابا، بابا.»

قالت جيني بمرح: «يريد ماثيو أن يكلمك يا حبيبي.»

غادرت ماغي المطبخ وانتظر دان انتهاء ماثيو من

الثرثرة غير المفهومة مع والده قبل أن يأخذه ويغادر المطبخ كي تنعم جيني بمحادثته بهدوء. حمل دان ماثيو إلى غرفة الجلوس حيث وجد ماغي جالسة على الكنبة تتصفح إحدى مجلات الازياء، سألها دان: «إذن ما هي خططك ليوم عطلتك هذا؟»

فهو كان يعلم بعطلتها هذه من جيني التي ذكرت هذا عرضياً أثناء الحديث البارحة. ولهذا بالذات اختصر دان مواعيده وجدول أعماله كي يحظى بوقت فراغ هذا اليوم.

تظاهرت ماغي باستغراقها بقراءة المجلة التي بين يديها لكنها في الواقع فقدت اهتمامها بما تقرأ لحظة دخول دان الغرفة.

ردت بلا مبالاة متعمد: «لا شيء محدّد.»

صاح ماثيو: «ألعاب.»

«ظننتك لن تطلب هذا أبداً.» قال دان بمرح وهو يسحب صندوق الألعاب الضخم ويضعه وسط الغرفة.

سأل دان: «ماذا نلعب الآن؟» انحنى ماثيو على الصندوق وعبث فيه مطولاً قبل أن يتناول عربة الاطفاء الضخمة.

«عربة.» صاح بانتصار وهو يضحك.

رفع دان نظره ورأى النظرة التي وجهتها اليه ماغي وقال: «أتريدين اللعب بالعربة معنا يا خالة ماغي؟»

اومأت برأسها بالنفي.

ألقى ماثيو بالعربة الحمراء أرضاً ثم عاد ليتناول سيارتين أخريتين قبل أن يجلس، دفع بواحدة نحو ماغي التي أعادتها إليه دون التحرك من مكانها.

تمتم ماثيو: «ماغ، لعبة.»

أعادت السيارة إليه وقالت: «لا يا حبيبي تريد الخالة ماغي قراءة هذا المقال.»

«هيا يا ماغ انزلي لمشاركتنا اللعب. تعرفين انك تريدين ذلك.»

امتنعت ماغي عن الابتسام واومأت برأسها بقوة أكبر هذه المرة.

وضع دان ذقنه على راحته وقال: «أرجوك؟»

ابتسمت ماغي بداخلها لكن مظهرها ظل جدياً وقالت: «توقف عن تعليم ماثيو النحيب.»

قلّد ماثيو حركة جده وتمتم: «أرجوك؟»

ضحكت ماغي ورمت المجلة على الطاولة قائلة: «أترى ما قصدت؟ تأثيرك سيء على هذا الطفل.»

«يفترض بالجدّ افساد الحفيد بالدلال، هذا قانون يطبق في معظم الولايات.»

استسلمت ماغي وجلست على الأرض قائلة: «كيف يفترض بي مقاومة هذا؟»

نظر دان إليها بتفكير وسأل: «إذن أنت تحبين توسل الرجل إليك، أليس كذلك؟»

فيما حدقت عيناه بها تساءلت ماغي أين كان دان طيلة حياتها. لماذا تخلى عن ابنه دون قتال؟ أكان يعوض عن اخطاء الماضي بتقربه من حفيده؟ أم انه حقاً يحب ماثيو ويهتم له صدقاً بالدرجة التي يظهرها؟ كل هذه اسئلة صعبة قد لا تجد الاجابة عليها.

بقي السؤال الأصعب دون إجابة، أكان دان مهتماً حقاً بها بالقدر الذي يبديه؟ أم انها كانت مجرد شيء مؤقت؟ إن

أطلقت العنان لأفكارها بهذا الشكل، فسينتهي بها الأمر في ورطة حقيقية.

ادركت انه لا زال ينتظر ردها، لذا قررت ان تمنحه جواباً مرحاً، فبهذه الطريقة قد لا يكتشف حقيقة مشاعرها.

قالت: «هذا يعتمد على الرجل وعلى ما يبغيه من توسله.»

ضحك دان وانحنى نحوها قائلاً: «كل ما يبغيه قلبك بالطبع.»

ماغي تبتغي الكثير لكنها تحاول ابقاء قلبها مغلقاً وبعيداً عن الأذية قدر المستطاع، هذا يعني انغلاقها خلف حصونها حين يحاول دانيال لوكاس التقرب منها.

«لعب.» صاح ماثيو وهو يضرب عربة الاطفاء بالأرض: «أرجوك.»

كان قد مضى على لعبهم نصف ساعة قبل أن تدخل جيني غرفة الجلوس. كانت عيناها شديدة الاحمرار وأنفها متورم. تهاوت على الكنبة وتأوهت.

سألتها ماغي: «كيف حال غاري؟»

«يشعر بالحنين للوطن ويقول انه يكره الوحدة التي يشعر بها أثناء عمله، ويكره أكثر الوحدة التي تغمره في عطلة نهاية الأسبوع.» تنهدت جيني متابعة: «قال انه على حافة الاستسلام وترك العمل هناك. حاولت إخباره أن الوقت ان يطول قبل أن يعود ونرتاح جميعاً لكنه قال انه بدأ يعتقد ان متابعة تعليمه أهم عندي منه شخصياً.»

قطب دان، فجزء من هذا كان خطأه هو، لو كانت الأوضاع مختلفة لالتجأ غاري إليه. لقد ارتكب العديد من الأخطاء بحق ابنه. هو لم يحارب كفاية في البداية بسبب تلك

القوية الثرية. لا، ليس بسبب خوفه من مقاتلة عائلة غاريت بل بسبب خوفه من الخسارة.

عندما أصبح قوياً كفاية لاشعال معركة حقيقية، لم يعد ابنه راغباً بعودته إليه، فاستسلم دان، رغم كرهه للاعتراف بذلك لكنه فعلاً استسلم متخذاً الطريق الأسهل للهروب.

لكن لا وقت للشعور بالأسف على نفسه، لأن جيني بحاجة ماسة للتعزية الآن.

واساها بقوله: «أظنه يعرف أكثر من ذلك يا جيني. هو يعرفك تماماً.»

هزت جيني كتفيها وقالت: «أظن ذلك، فقد اعتذر لي عن قوله ذاك.»

سألتها ماغي: «هل أخبرته عن تذكرة الطائرة المحجوزة باسمه والموجودة في المطار لعطلة العيد القادم؟»

ردت جيني: «أجل وطلب مني ان اشكرك بالنيابة عنه ويقول لك انه ان ظل حياً حتى ذلك الوقت فهو سيعوّض عليك كثيراً.»

قطب دان فعطلة العيد القادم بعد شهر كامل وهناك عطلة أقرب.

برقت عينا دان بفرح وقال: «لدي فكرة. لِمَ لا أرسل له بطاقة للحضور في عطلة هذا العيد؟»

نهضت جيني ثم تهاوت مجدداً على الكنبة قائلة: «ستكون عطلته مجرد أيام قليلة وذاك لا يكفيه للمجيء إلى هنا للاعتياد على فكرة سكننا معك، أنا لم أتوصل للطريقة المثلى لإطلاعه على ذلك بعد. لقد اكتفيت بإرسال رقم هاتفك وعنوانك له قائلة انك صديق لماغي.»

سارع دان للقول: «إذن سأتدبر أمر سفرك أنت وماثيو إليه.»

كان دان صادقاً في عرضه وتفاجأ من شعور الوحدة الذي اعتراه لمجرد تفكيره قضاء هذه العطلة دونهم لكنه أدرك أن غاري يحتاج إلى زوجته وطفله أكثر منه.

تابع دان قائلاً: «فكري بهذا كهدية مسبقة للعيد القادم.»

شعرت ماغي بلحظة غضب لأن دان تفوق بهذا على هديتها هي لجيني، لكنها شعرت بالخجل من نفسها فوراً لأنانية هذه الفكرة.

هتفت جيني بسعادة: «آه يا دان، لا أستطيع السماح لك بفعل هذا.»

عارضها دان قائلاً: «لا أرى مانعاً إطلاقاً بل هذا هو الحل المنطقي.»

«سيطلب غاري معرفة مصدر المال لشراء التذاكر وأنا لا أستطيع أن أكذب عليه.»

«هيا يا جيني.» قال دان مبتسماً: «أعرف من خبرتي معك ان بإمكانك اقناع أي كان بما تريدين. لذا لا تقولي لي هذا يمكن أن تكوني في الرحلة القادمة المغادرة إلى الاسكا.»

ابتسمت جيني بخبث قائلة: «أنت محق سأفكر بشيء ما.»

نهضت من مكانها وعانقت دان بحب وشكر، صفق ماثيو بيديه وضحك. فرغم عدم فهمه لما يجري إلا انه شعر بسعادة والدته فهتف: «ماما.»

صفقت جيني بيديها بدورها وقالت: «احزر يا ماثيو؟ ستذهب وماما في رحلة. في طائرة كبيرة.»

ظلت ماغي صامتة منذ بداية عرض دان غير المتوقع

لكنها تكلمت الآن وقالت: «لا يزال ماثيو يأخذ المضادات الحيوية بسبب التهاب أذنه. لا يجدر به السفر جواً فهذا قد يسبب له ألماً كبيراً.»

تلاشت ضحكة جيني وتهاوت على الكنبة قائلة بأسى: «أنت محقة. لا يستطيع ماثيو السفر.»

كرهت ماغي افساد فرحة شقيقتها لكن كان عليها وضع صحة ماثيو في سلم الأولويات.

اقترحت ماغي: «بإمكانك السفر بمفردك.»

«ليس دون وضع ماثيو في حضانة طيلة النهار وأنا لن أفعل ذلك.»

سألها دان: «ألم تنسيا أمراً هاماً؟»

نظرت جيني وماغي إليه باستفسار. فتابع: «لدى ماثيو جد وخالة. لِمَ لا أعتني به أنا وماغي؟»

قال دان هذا ولم يشأ التفكير بالفوضى العارمة التي سيغرق فيها سكرتيرته لترتب له جدول مواعيده بحيث يتفرغ للعناية بماثيو حين تكون ماغي في عملها. فالأمر الهام كان حالياً جمع غاري وجيني.

نظرت جيني إلى ماغي وسألت: «ما رأيك؟ هل سينجح ذلك؟»

استدارت ماغي إليه وقالت: «سأعمل الاسبوع القادم حتى يوم الخميس وبعدها أحظى بعطلة لأربعة أيام هذا يعني ضرورة تواجدك في المنزل كل يوم في الساعة الثانية والنصف. أيمكنك تدبر ذلك؟»

قبل التزامه بشيء، توجه دان ليحضر دفتر مواعيده من حقيبته، وبعد ان تفقده للحظات قال: «لدي مواعيد في

الصباح. وقد سبق وخططت لدراسة أوراق القضايا بعد الظهر لكن يمكنني فعل ذلك في عطلة نهاية الاسبوع. عندي جلسات في المحكمة يومي الاثنين والثلاثاء صباحاً، لكن لا مواعيد عمل بعد الظهر حتى الآن وسأطلب من كارول عدم تحديد أي موعد.»

أغلق الدفتر وتابع: «بالنسبة للعطلة فالمكتب يقفل ابوابه من يوم الاربعاء وحتى صباح الاثنين، وهكذا فأنا حر كالطير.»

«هذا يسوي المسألة إذن.» قالت ماغي بحماس مبالغ به. فرغم الحاحها الشديد بأن تقضي جيني عطلة العيد مع غاري إلا ان هذا سيعني عدم تمكنها من تجنب دان.

تابعت ماغي تطمئن شقيقتها: «لا تقلقي حيال أي أمر.»

خابر دان وكيل سفره ورتب كل شيء معه بظرف دقائق قليلة.

سأل جيني حين أنهى مكالمته: «تقلع طائرتك بعد ثلاثة أيام، هل تستطيعين ترتيب أمورك بهذا الوقت القصير؟»

ابتسمت جيني قائلة: «بالطبع أستطيع.» عندما ضحك ماثيو أسرعت إليه وحملته قائلة: «تعال معي إلى الطابق العلوي كي أختار ما الذي سآخذه معي.»

بعد مغادرة جيني وماثيو للغرفة استدارت ماغي إلى دان قائلة بحنق: «كان هذا تصرفاً حقيراً.»

«ماذا؟» سأل بذهول لتبدل مزاجها المفاجيء هذا. فقد بدت سعيدة منذ لحظات قليلة.

سألها: «هل أنت مستاءة لأنني عرضت خدماتي في حضانة ماثيو؟ أنت تقومين بهذا يومياً لذا لم اعتقدك ستمانعين بذلك.»

نهضت ماغي بحنق قائلة: «تعرف تماماً انني لا أمانع الاهتمام بماثيو في أي وقت.»

«إذن ما سر غضبك هذا؟»

همّت بمغادرة الغرفة لكن دان تحرّك ليسدّ عليها الطريق وسألها: «ما مشكلتك؟»

«يا لك من رجل! أنت من يرمي أمواله هنا وهناك دون داع لكنني أنا من يعاني من مشكلة.»

«أنت من يشعر بالغضب.»

«أخفض صوتك، لا أريد جيني أن تسمع هذا.»

أخذ دان نفساً عميقاً قبل أن يقول: «أخبريني ما الخطأ الذي ارتكبته.»

«كنت لأشتري هذه البطاقة بنفسي لها، لكنني وعدت جيني بعدم السحب من مدخراتي، وأنا لن أحظى بالزيادة السنوية إلا في شهر كانون أول (ديسمبر).»

اتهمها قائلاً: «أنت تشعرين بالغيرة.»

فكذبت قائلة: «لا، لست كذلك.»

صمت دان للحظات محاولاً وضع نفسه مكان ماغي، فأدرك كم سيكون غاضباً بدوره لو أتى شخص غريب وهدد علاقته بماثيو، فأمسك بيدها وقال معتذراً: «آسف يا ماغي.»

نظرت بعيداً عنه وقالت: «أنا من عليه الاعتذار. أنا من كان متشككاً وغيوراً وأنت لم تفعل شيئاً لتستحق هذا. أنت طيب مع ماثيو وطيب مع جيني أيضاً. أنا لا أتصرف هكذا عادة، لكني لا أعرف ما الذي أصابني.»

ابتسم دان قائلاً: «ولا أنا أعرف ذلك أيضاً، لكن لعله الشيء ذاته الذي أصابني.» وضع ذراعيه حول خصرها

وقربها منه قبل أن يتابع: «سأقبلك الآن لأن عليّ ذلك، ألا تمانعين بذلك؟»

طأطأت برأسها وهمست: «لا.»

لا تعلم كيف حدث هذا لكنها كانت تتلهف لقبلته. اقترب برأسه منها وسأل برقة: «هل ستندمين على هذا لاحقاً؟»

أجابت: «ربما، وماذا عنك؟»

قال: «ربما، لكني لا أفكر الآن بما سيحدث لاحقاً.»

«ولا أنا أيضاً.»

سألته: «هل لاحظت انه كلما تشاجرنا ينتهي بنا الأمر بتبادل القبل؟»

«أجل، لاحظت.»

ابتعدت ماغي عنه وقالت: «يجب ان نوقف ذلك يا دان.»

«لكنت وافقتك قبل لحظات، لكن الآن جاء دوري لأسألك لماذا تريدين إيقاف شيئاً يمنحنا هذا الاحساس الرائع؟»

«لأنه لا يمكنني إقامة علاقة مع جد ابن شقيقتي.»

برقت عينا دان بمرح وقال: «أنت على حق. فهذا الأمر قد يقتلني.»

ابتسمت رغماً عنها وقالت: «لم أقصد ذلك. الأمر فقط انني لست من النوع الذي يقيم علاقات.»

فكر دان في نفسه وأنا لست من النوع الذي يتزوج.

تراجع خطوة وسأل: «ماذا سنفعل بهذا الشأن؟»

شعرت بخيبة أمل طفيفة لاستسلامه السريع هذا وقالت بهدوء: «علينا فقط أن نحاول التفاهم بجهد أكبر، خاصة الآن بغياب جيني وسفرها القريب. إن لم نفعل، فلربما لن نجد أنفسنا بمثل هذه الورطة.»

«أتظنين هذا سينجح حقاً؟»

نظرت ماغي إلى دان ورأت بريق عينيه وأدركت ان الاسبوع القادم سيحمل معه العديد من فرص الجدال بينهما، إضافة للعديد من الأمور الأخرى.

فقالت بصدق: «لا، لا أظن هذا سينجح، لكنها أفضل فكرة لدي.»

«بوسعي مشاركتك بعض أفكاري بدوري وأظنك ستجدينها مثيرة للاهتمام.»

ازداد حنق ماغي من نفسها لشعورها بتورد خديها وكأنها تلميذة مدرسة مراهقة فقالت له بسرعة: «أشكرك والأفضل ان تحتفظ بأفكارك وبأشياء أخرى لنفسك يا سيد لوكاس.»

غادرت الغرفة سريعاً وصدى ضحكة دان تلاحقها على السلالم.

الفصل السابع

بعد بضعة ايام اصطحب دان جيني إلى المطار برفقة ماغي وماثيو، وراقبوا الطائرة وهي ترتفع بها قبل ان يعودوا إلى السيارة. كانا بالغا الهدوء وكأنهما لا يعرفان ما يمكن قوله لبعضهما بعد ان اصبحا وحدهما برفقة الطفل الذي فوّت عليه قيلولته المسائية ولم يكن مسروراً لاحتجازه في كرسي السيارة خاصته. جلست ماغي قربه في المقعد الخلفي محاولة تحسين مزاجه وتهدأته.

سألها: «لم لا نتوقف لتناول العشاء؟ أعرف مكاناً هادئاً وجميلاً يقدم افضل انواع المعجنات بالبلدة.»

ردت ماغي: «ماثيو لا يحسن التصرف في المطاعم. خاصة المطاعم الهادئة والجميلة. الأفضل لنا اخذه للمنزل قبل ان يضطرب اكثر.»

لم يكن دان مستعداً بعد لإنهاء ذلك، فقد شعر اثناء رحلة الذهاب إلى المطار كرجل يخرج برفقة عائلته في رحلة. لقد ودّع الجميع جيني وراقبوا الطائرة وهي تقلع مغادرة أرض المدرج، وشعر دان بأنه قريب من ماغي والجميع ينظر اليهما معتبراً انهما زوجان بصحبة طفلهما.

جاءته هذه الفكرة من العدم لكنه وجد نفسه يتصوّر الوضع. فبعد كل شيء ماثيو يشبهه ووفقا لكلام جيني فقد ورث الطفل من خالته لون بشرتها. ان كان له ولماغي طفلاً فهل سيشبه ماثيو؟ هل سيكون له هاتين العينين البنيتين

www.elromancia.com

الواسعتين؟ تلك الخصلات الحمراء الناعمة المجعدة؟ ماذا لو كان لديهما طفلة؟ هل سيكون لها عيني ماغي الزرقاوتين وبشرتها الموردة الرقيقة؟

ادرك دان ان الاسترسال بهكذا افكار هو الجنون بعينه لكنه لم يستطع ردع نفسه عن التفكير بهذا. هو بالطبع جدّ لكن سن التاسعة والثلاثين ليس بسن متقدم لإنشاء عائلة جديدة، فالوقت لم يفت بعد لفرصة ثانية. أم انه فات؟ ما السبيل لمعرفة ذلك ما دامت ماغي ترفض مجرد تناول العشاء معه؟

«اظن ماثيو سيفرح بهذا. هل نسيت حبه للمعكرونة بالجبنة؟ الصغير يحب المأكولات الايطالية اليس كذلك يا ماثيو؟»

ردد ماثيو: «أكل.»

ابتسم دان عبر المرآة وقال: «أرأيت؟ ماثيو يرغب بالذهاب، ماذا عنك يا ماغي؟»

وافقته: «حسناً. لكن تذكر انها فكرتك انت.»

تابع دان الابتسام فلو انها فقط تمنحه الفرصة فستكتشف انه مليء بالأفكار النيرة.

رحّب بهم صاحب المطعم فور وصولهم قائلاً بلكنة ايطالية: «سيد لوكاس؟ اهلاً، اهلاً سأعد لك افضل طاولة. تفضلوا سأجد ماريا وأعود فوراً.»

قالت ماغي فيما دان يسحب لها الكرسي: «افهم من هذا انك زبون دائم هنا؟»

أجاب بمرح: «صحيح. لدي ضعف تجاه مأكولات ماريا وخاصة طبق فتوتشيني بالدجاج.»

«انه مكان جميل، شكراً لاقتراحك بالمجيء اليه.»

ابعد دان الزهرية عن وسط الطاولة قبل لحظة من محاولة ماثيو رميها أرضاً.

«هذا مطعم عائلي، فجو وماريا ليوتي يؤمنان باللمسة الشخصية في تحضير الأطباق.»

قالت ماغي: «ردات فعل سريعة وبمحلها.»

«شكراً.»

«ستحتاج ردود الفعل هذه مع ماثيو. انه في أوج مرحلة الحركة، ويريد تجربة كل شيء.»

«انها مرحلة بعضنا لا يخرج منها أبداً.»

«عفواً ماذا قلت؟»

اجابها دان: «لا شيء.»

قاد جو زوجته السمينة إلى طاولتهم قائلاً: «أرأيت يا ماريا احضر السيد لوكاس زوجته وطفله.»

«آه، نحن ليس...»

وقبل ان تتابع ماغي كلامها، حملت ماريا ماثيو ورفعته عالياً قائلة: «يا لك من طفل رائع.»

تمتم ماثيو: «أكل.»

قهقهت ماريا قائلة لزوجها: «أسرع يا جو بإحضار كرسي الاطفال المرتفع لهذا الصغير فقد انتظر ما فيه الكفاية، سأحضر له بعض المعكرونة وكرات اللحم المعدة خصيصاً للاطفال امثاله. وسيتناول الوالد والوالدة فتوتشيني بالدجاج.»

بدأ دان يشرح لها علاقته بماثيو وماغي الا ان ماريا ليوتي عادت ادراجها إلى المطبخ قبل ان ينهي كلامه.

فقال دان لماغي: «لقد حاولت.»

ردّت ماغي: «اعرف.»

لم تكن واثقة من شعورها حيال اعتقاد الآخرين انها زوجة دان. هذا لم يكن بالطبع أمراً مهيناً، لكن الفكرة اثارت داخلها مشاعر لا تحبذ الاسترسال بها.

بانتهاء دان وماغي من تناول السلطة كان ماثيو قد أنهى صحنه الصغير وبدأ يتململ بانزعاج.

سأل دان وهو يرمق حقيبة ماغي المنتفخة.

«هل لديك اية العاب في هذه الحقيبة؟»

«أجل.» تناولت من حقيبتها مطرقة بلاستيكية ملونة وناولتها لماثيو. طرق بها ماثيو على كرسيه قليلاً قبل ان يرميها أرضاً ويعود للتجهم.

همس دان: «لا افهم هذا، هو لم يكن هكذا أبداً. ما خطبه؟»

تنهدت ماغي قائلة: «هذه حالة من ملل المطاعم المغلقة. كل الاطفال يعانون من ذلك احياناً.»

ابتسم دان قائلاً: «وهل يعاني من ذلك بعربات الجر والكراسي البلاستيكية المخصصة للأطفال؟»

ابتسمت بدورها قائلة: «كل هذه أعراض متشابهة. يمكن للطفل البقاء هادئاً طالما هناك ما يقوم به، وعدم الحركة تعني الملل والانزعاج في قاموس هذا الصغير، وحالته اضحت متطورة. سيجن جنونه بعد دقائق قليلة.»

ناوله دان ملعقة فضية قائلاً: «بالطبع هذا لن يحدث.»

نظر ماثيو إلى الملعقة للحظات ثم رماها على الأرض متمتماً: «باي باي.»

نظر دان إلى ماغي وسأل: «هل نأخذ عشاءنا إلى المنزل؟»

طأطأت رأسها موافقة: «لعل هذا افضل.» تلك اللحظة نفد صبر ماثيو وانفجر بالبكاء. نظر من في المطعم نحوهم بانزعاج، فسارعت ماغي لإخراج ماثيو من الكرسي، خرجت ماريا من المطبخ حاملة صحني الفتوتشيني.

قال دان: «آسف، علينا اصطحاب ماثيو إلى المنزل، اتمانعين بـ...؟»

وضعت ماريا الصحنين على الطاولة وحملت ماثيو ثم قاطعت دان قائلة: «سآخذه معي ليقابل اطفالي الموجودين في المطبخ. لا بأس يا ماثيو؟»

ضحك ماثيو واعتبرت ماريا انه موافق، ثم ابتعدت وسارعت متمتمة: «تعالا لأخذه حين تنتهيان. وخذا وقتكما فماثيو سيقضي وقتاً ممتعاً هناك.» اختفت والطفل داخل باب المطبخ.

سألت ماغي: «كم طفلاً لديها في المطبخ؟»

«خمسة.»

اندهشت ماغي وسألت: «وكيف تتدبر أمر تحضير الطعام والاعتناء بخمسة اطفال بالوقت ذاته؟»

ابتسم دان قائلاً: «اطفالها في الثلاثينات من عمرهم، وماريا تنسى ذلك احياناً.»

ضحكت ماغي وذهل دان للسعادة التي شعر بها وهو يسمع ضحكتها. انطلقت ماغي بالحديث وهي تخبر دان عن عملها وعن مدى حبها للتمريض.

احب بريق عينيها وحماسها وهي تتحدث عن عملها لذا تابع الحوار بطرحه الأسئلة والتعليق بين الحين والآخر على ما تقول.

قالت ماغي لاحقاً: «انا واثقة من انك سئمت الاستماع لمشاكل مرضاي، لنتحدث عنك انت الآن.»

«دعينا لا نفعل. اعالج عادة قضايا الطلاق والوصاية وكلاهما لا يصلح لحديث ممتع اثناء العشاء.»

«مادمت لا تحب عملك فلماذا تقوم به؟»

«بل احبه، احظى بالكثير من الاكتفاء والسعادة بمساعدة الآخرين. انا لا اقبل بأي قضية الا بعد تأكدي ان موكلي يستحق فعلاً الحكم الذي احصل عليه لأجله.»

«وما السبيل لتتأكد من ذلك؟»

اجابها: «اجري تحقيقاتي عنه قبل قبول دعواه.»

قطبت ماغي وسألت: «تقصد انك تتطفل على علاقاته الخاصة؟»

«ان كان لديه علاقات فليتوقع التحقيق بشأنها.»

«تعرف ما اقصد.»

اجابها: «لدينا تحرياً خاصاً بدوام كامل.»

«لدينا؟»

«اقصد شركة لوكاس للمحاماة وبعض الشركاء الصغار الآخرين.»

«يبدو وكأنها شركة ضخمة.»

ضحك قائلاً: «ليس فعلاً.»

سألته: «وانت الشريك الأكبر؟»

قهقه ثانية هامساً: «انا من انشأ الشركة لكني لست الأكبر سناً بينهم.»

«وكم عمرك ايها الجدّ.»

«يمكنك ان تخمني دون شك.»

ردت بصدق: «شعرت بالفضول حيال هذه المسألة منذ وصولي إلى منزلك. يصعب الحكم تبعا للمظهر الخارجي فقط، وانت لا تطابق الصورة التي اكونها عادة عن الجدود.»

قال: «لازلت في بداية التاسعة والثلاثين.»

«كنت صغير السن عندما تزوجت إذن؟»

لم يرد دان مناقشة اخطائه الزوجية، لذا فقد غيّر الموضوع قائلاً: «ماذا ستتناولين من الحلوى؟»

«لا شكراً.» نظرت إلى ساعتها متابعة: «اظن حان الوقت لإنقاذ آل ليوتي.»

«قد نضطر لإنقاذ ماثيو فقد بقي مع ماريا مدة كافية طبعت فيها على وجنتيه مئات القبلات.»

نهضا ليتوجها إلى المطبخ وشعر دان بالفخر والنظرات كلها تتحوّل اليهما.

شاهدا ماثيو لحظة فتحا باب المطبخ. كان الصغير يمسك ملعقة خشبية طويلة ويحرك داخل وعاء كبير فارغ قربه. رفع الملعقة ومدها باتجاه فتاة شابة كانت جالسة على الأرض قربه.

ادعت الفتاة تذوق المحتويات وقالت: «جيد جداً، انت طاه بالفطرة يا ماثيو.»

«نعم.» تمتم ماثيو ضاحكاً.

«كيف كان العشاء؟»

رد دان: «كان رائعاً كالعادة شكراً يا ماريا.»

قالت ماريا للفتاة الشابة: «خذي ماثيو واغسلي وجهه يا جينا.» قبل ان تستدير ثانية إلى دان وماغي متابعة: «هذه شيكولاته.»

عرضت ماغي: «سأقوم بذلك يا جينا، لقد تسببنا بما فيه من المتاعب.»

سمحت لها جينا بحمل ماثيو لكنها لحقت بها إلى الحمام قائلة: «انه بامبينو رائع.»

«اظن ذلك.» وافقتها ماغي، ثم تابعت وهي تنظف وجه ماثيو: «هل لديك اطفالاً؟»

ردت الشابة الأخرى: «ليس بعد.» وربتت على بطنها المنتفخ قليلاً قبل ان تتابع: «بفضل السيد لوكاس سيحظى هذا الطفل بالهوية الأمريكية، لكنك تعرفين دون شك كم هو رائع زوجك.»

ابتسمت ماغي وقالت: «لسنا زوجين.»

اتسعت عينا جينا غير مصدقة، فسارعت ماغي للتوضيح: «ماثيو ابن شقيقتي، دان وانا نهتم به مؤقتاً فقط.»

«آه.» كان هذا كل ما قالته جينا.

سأل ماثيو: «باي باي؟»

«أجل.» ردت ماغي رغم فضولها لمعرفة ما فعله دان كي يجعل من طفل جينا مواطناً اميركياً.

كان دان وماريا وجو ليوتي بانتظارهما بالخارج. وضعت ماريا كيسا ورقياً كبيراً بيد دان وهي تودعه.

سألت ماغي في طريق العودة: «قالت جينا ان طفلها سيكون امريكيا بفضلك. ماذا قصدت بذلك؟»

ردّ دان قائلاً: «ان الرجل الذي باع المطعم لجو وماريا، كان قد خدعهما. كان المطعم مرهوناً بشروط لا تسمح لأي رجل عاقل بشرائه ولو كان بثمن بخس، كانا مفلسين واضطرا لدفع كل قرش يجنياه لصاحب الرهن.»

سألته ماغي: «ماداما مفلسين فكيف تمكنا من دفع تكاليف محام لامع مثلك؟»

«كانت القضية دون مقابل.»

سألته بدهشة: «لم تأخذ منهم مالاً؟ هل تفعل ذلك دوماً؟»

«ليس دوماً رغم حبي لذلك. توكل هذه القضايا عادة للشركاء المبتدئين لكن جوليوتي رفض السماح لأي محام آخر بالاهتمام بقضيته، قال انه يثق بي وحدي لأن اسمي كاسم شقيقه لوكا، وقد اختارني من دليل الهاتف.»

تابع بعد ان تنهد: «أثار اهتمامي لذا كفلت قضيته، ويسعدني انني فعلت، لا تحظين بصديق حقيقي الا عندما يصبح لديك صديقاً ايطاليا، ساعدتهم للتخلص من العقد المخادع والآن صرت بنظرهم بطلاً. احظى بعرفان دائم وبالكمية التي اريد من فتوتشيني الدجاج إلى ما لا نهاية.»

عادت لتسأله: «اذن ما علاقة العقد بطفل جينا القادم؟»

«استطاع جو وماريا جمع المبلغ الكافي لاحضار ابنتهم وصهرهم، والآن سيولد الطفل في امريكا.»

نظرت ماغي اليه بتقدير وقالت: «كان هذا تصرفاً نبيلاً منك.»

نظر اليها وقال: «لا تكوني مندهشة هكذا يا ماغي.»

استغرق ماثيو بالنوم في السيارة ولم يستيقظ الا عندما بدّلت ماغي ودان ملابسه ووضعاه في سريره.

نزلا بعد ذلك للطابق السفلي والمودة بينهما كانت اكبر مما كانت عليه من قبل، جلس دان على الكنبة واشار لها للجلوس إلى جانبه قائلاً: «اعطتنا ماريا الحلوى. اترغبين بتذوق بعضها الآن؟»

حدقت ماغي بالمكان الذي دعاها للجلوس عليه وفكرت بعدة اسباب كي لا تلبي تلك الدعوة.

قالت: «لا استطيع تناول ولا حتى قضمة صغيرة.»

وافقها: «ولا انا ايضاً، لم لا نستمع لبعض الموسيقى؟»

رسم هذا الاقتراح صورة ممتعة في عقل ماغي، هي وهو يجلسان جنباً إلى جنب على الكنبة الكبيرة يستمعان بهدوء للموسيقى الكلاسيكية المنبعثة من جهاز التسجيل خلفهما.

اومأت برأسها كأنها تطرد هذه الفكرة منه وقالت وهي تجلس على الكنبة: «لنشاهد فيلماً على القناة الفضائية.»

مدا يديهما في الوقت ذاته للإمساك بجهاز التحكم وسارعت ماغي بسحب يدها فور ملامسة اصابعه لأصابعها، كيف سيبقيان في المنزل ذاته وحدهما ان سرحت افكارها هكذا مع كل حركة عفوية؟

«هذا فيلم مشوّق.» قال وهو يثبت على قنال معينة: «هل سبق وشاهدته؟»

نظرت ماغي إلى الشاشة بعدم تركيز وقالت: «لا.»

وضع عندها دان جهاز التحكم على الطاولة واخذا يشاهدان الفيلم.

ادرك دان بعد بضع دقائق انه لم يكن مهتماً بالفيلم. فهو يفضل مراقبة ماغي.

في صباح يوم الاثنين كانت ماغي قد أعدت الفطور بنزول دان إلى الطابق السفلي، بدا متعباً مثلها تماماً وتساءلت اذا ما كانت ليلته غير مريحة كما كانت ليلتها. فكلما كانت تغفو كانت تحلم به.

في الحلم، كانا اكثر تعلقاً ببعضهما عما هو الحال في

الواقع. لكن حتى في احلامها لم يكن دان جدياً بعلاقته معها وكانت تستيقظ دوماً وشعور الوحدة والحسرة يغمرها.

غادرت المنزل صباحاً لرياضتها قبل نصف ساعة من موعدها المحدد كي تتجنب لقاءه. لكن لم يكن من داع لذلك فدان الآن كان متعباً وبالطبع غير قادر على الركض الصباحي ولو لفترة قصيرة.

«حضرت الخبز المحمص والجبنة.» قالت وهي تطعم ماثيو فيما سكب دان لنفسه فنجان قهوة.

«بامكانه تناول طعامه بنفسه.»

«هذا صحيح، لكنه يأكل بنفسه الأشياء التي يحبها فقط والجزر المسلوق ليس ضمن تلك القائمة.»

فجأة شعر دان بالقلق لبقائه وحده مع ماثيو بعد مغادرة ماغي فسأل: «ماذا اطعمه على الغداء؟»

«سأكون هنا وقت الغداء، عليك فقط اطعامه وجبة العشاء.»

ردت وهي تطعم ماثيو الملعقة الأخيرة من الجزر ثم ناولته بسكويته هشة. وحين استدارت إلى دان رأت القلق في عينيه فقالت: «لا تقلق، سأريك ما عليك ان تطعمه قبل ان اغادر.»

«لست قلقاً فقط على طعامه. ما بدا فكرة جيدة البارحة...»

ولم يتابع دان كلامه.

ردت ماغي: «انت تخشى من قيامك بخطأ ما. هذا طبيعي كل الامهات الجديدات يخرجن من المستشفى وهن يشعرن بهذا الشعور.»

تخيل دان كل ما يمكن ان يحدث وسأل بقلق: «ماذا لو اطعمته الوجبة ساخنة؟»

ردت ماغي بهدوء: «سيبصقها وسيكون عليك مسح ملابسه وبهذا الوقت يكون الطعام قد برد.»

«اجل، وماذا لو رفض متابعة تناول الطعام؟»

«لن يفعل. فماثيو يحبك ويثق بك، لا حدود لثقة الطفل.»

«هذه مسؤولية كبيرة، صحيح؟»

«أجل.» ردت برقة واستدارت إلى ماثيو متابعة: «لكنك تستحقها أليس كذلك يا حبيبي؟»

ابتسم ماثيو وحاول جده التخفيف من حدة قلقه. تطوع دان بتنظيف المطبخ فيما ماغي تبدل ملابس ماثيو، مر الصباح سريعاً وهما يغسلان، ينشفان ويرتبان ملابس الطفل. واندهش دان لكمية الغسيل الناتجة عن طفل صغير كماثيو.

بعد الغداء حضّرت ماغي حساء الخضار للعشاء واخبرت دان بهرس الخضار لماثيو قبل اطعامه اياها. كما وان تكون حرارة الشوربة بمثل حرارة الغرفة، ثم صعدت للطابق العلوي كي تستعد للذهاب إلى عملها فيما صعد دان لوضع ماثيو في مهده ليحظى بقيلولة ما بعد الظهيرة المعتادة.

لكن رغم النعاس الواضح عليه رفض ماثيو الخلود للنوم. وكلما وضعه دان في مهده كان يرفع يديه الصغيرتين نحوه ويصرخ: «ماما، ماما.»

حمله دان للمرة الثالثة رافعاً إياه من فراشه وقال: «الا تشعر بالنعاس يا صغيري؟»

هز ماثيو رأسه فأخذه دان معه إلى الطابق السفلي كانا على الكنبة حين نزلت ماغي بردائها الأبيض وقبعتها البيضاء الصغيرة، كان دان وماثيو يبدوان كوالد وابنه وشعرت ماغي بغصة في حلقها، ادركت الآن ان دان سيكون

والداً صالحاً، وكان ليكون والداً صالحاً لغاري لو اتيحت له الفرصة لذلك، ولم يكن من العدل حرمان الظروف له من ممارسة دور أبوته.

سألت: «ما هذا؟ هل نجح ماثيو بخداعك منذ الآن؟»

«لم يكن يشعر بالنعاس.»

«يبدو نعسا بالنسبة لي، في الحقيقة انه نائم.»

قال دان: «اراد الاستماع إلى قصة أولاً.»

«وهل اخبرك هو بذلك؟»

«ليس تماماً، كان يبكي مطالباً بجيني وبدا مثيراً للشفقة فلم استطع المقاومة.»

«تقول جيني انه يبكي مطالباً بكل من لا يراه قربه وقت نومه، حتى انه صرخ مطالباً بك بضع مرات.»

«حقاً؟»

«لا تدع هذا يؤثر عليك.»

سأل دان مفكراً: «هل تظنينه يفتقد والديه؟»

ردت: «بالطبع، لكن تذكر ما قلته لك حول إبعاده عن الملل. بوسعنا عرض صور والدته عليه حين يطالب بها ونخبره انها ستعود إلى المنزل قريباً.»

«انه صغير السن فهل سيفهم هذا؟»

«اظن الاطفال يفهمون اكثر بكثير مما نعتقده عنهم. سيكون بخير فلا تقلق.»

انحنت ماغي لتقبيل ماثيو وفيما هي تستقيم التقت عيناها بعيني دان.

فسألها: «إذا قلت لك انني سأشتاق اليك فهل سأحظى بقبلة بدوري؟»

كانت نظرته متسائلة وتمنت ماغي الا تظهر عيناها مشاعرها، دون الرد على سؤاله سارعت بمغادرة الغرفة وقالت وهي عند الباب: «تركت رقم هاتف عملي على طاولة المطبخ بحال حدوث أي طارىء.»

سألها بقلق: «طارىء؟»

ردت قبل ان تغادر: «فقط كإجراء تحسبي.»

شعر دان بالاشتياق لها منذ هذه اللحظة وليس لأنها كانت من يهتم بماثيو. ابتسم متذكراً تطلعه لمغادرتها وبقاءه وحده مع ماثيو، اما الآن فهو لن يتمكن من الصبر لحين عودتها إلى المنزل وقد مضى على مغادرتها لحظات قليلة، كان المنزل بالغ الهدوء دون ضحكتها التي تبعث فيه النشاط.

وتساءل للحظة كيف سيكون الوضع بحال تزوج ماغي وانجبا طفلا يحبه ويحميه ويهدهده بين ذراعيه كي ينام. وفي اللحظة التالية اعتبر نفسه مجنوناً للتفكير بالزواج ثانية، خاصة ان معرفته بماغي لا تتعدى الاسابيع القليلة. بعد كل السنوات التي عاهد نفسه خلالها على عدم الزواج ثانية ما الذي يدفعه الآن للاسترسال بهكذا فكرة؟ لعله جن؟ لكن من السهل جداً ان يجنّ المرء بماغي.

في اليوم السابق للعيد، كان دان مع احد موكليه في مكتبه حين اتصلت به سكرتيرته.

ضغط على زر الرد وسأله: «اجل سيدة ليتون ما الأمر؟»

«آسفة لمقاطعتك يا سيد لوكاس لكنك طلبت مني تمرير مكالمة الآنسة هيو اليك بأي وقت.»

«شكراً لك سيدة ليتون.» واستدار إلى موكله متابعاً:

«عفواً هذا سيتغرق دقيقة فقط.» وضغط زر المكالمات الخاصة قائلاً: «اجل ماغي ما الأمر؟»

«آسفة لاتصالي بل لكني مضطرة للمغادرة باكراً للمستشفى. فالممرضة المناوبة مريضة وانا بديلتها الوحيدة في هذا الدوام.»

«في أي وقت عليك الذهاب؟»

«اخبرتهم انني سأكون هناك في الواحدة.»

نظر دان إلى ساعته وقال: «تكاد الساعة تبلغ الثانية عشرة الآن، لا استطيع انهاء ما لدي هنا والوصول اليك قبل الواحدة. ايمكنك إيصال ماثيو إلى هنا في طريقك إلى المستشفى.»

«ألن يفسد هذا جدول اعمالك؟»

«لا. مطلقاً.»

ردت ماغي: «شكراً يا دان وآسفة على هذا.»

«لا مشكلة اطلاقاً. سأراك حين تصلين.»

أعاد السماعة إلى مكانها معتذراً من الموكل وعاد للعمل. كان يرغب بإنهاء ما بين يديه قبل وصول ماغي كي يتفرغ لها خلال الدقائق القليلة التي ستقضيها في مكتبه.

بعد نصف ساعة دخلت ماغي مكتب لوكاس وماثيو بين يديها. اعجبت فوراً بالديكور الجميل وبتناغم اللونين الأزرق والعاجي في كل قطعة أثاث وحتى ورق الجدران كان رائعاً بدوره ويشكل مع كل ما حوله انطباعاً جميلاً من الفخامة والذوق.

قادتها موظفة الاستقبال إلى مكتب داخلي حيث وجدت سكرتيرة بانتظارها.

بدأت ماغي بقولها: «أنا هنا لمقابلة...»

قاطعتها المرأة الأكبر سناً امامها بالقول: «لا بد انك ماغي عرفتك من الصورة الموجودة على المكتب. نادني كارول.» واستدارت كارول حول مكتبها تكلم ماثيو: «إذن انت هو الحفيد الذي سمعنا الكثير عنه، عرض جدّك صورك على كل فرد في هذا الطابق.»

خرج دان من مكتبه سائلاً كارول بمرح: «هل تستخدمين اسمي دون جدوى ثانية يا كارول؟»

«انت تسحب تلك الصور كما تسحب المسدس يا سيد لوكاس.»

«ربما، لكن وقت زيادة العيد ليس ببعيد.»

قال بخبث مصطنع، ثم حمل ماثيو ووضع ذراعه الأخرى حول كتفي ماغي قائلاً: «تعالي يا ماغي سأريك المكان.»

عرفها وماثيو على كل من في المكتب، من الشركاء إلى موظف البريد. وكان من الواضح لماغي ان كل زملاء دان وموظفيه ينظرون اليه باعجاب واحترام.

علقت قائلة: «يبدو ان الجميع يستمتع بعمله هنا، جو مكتبك اكثر راحة مما توقعت.»

فتح الباب إلى مكتبه الخاص وقال: «كانت كارول ليتون سكرتيرتي منذ افتتحت شركة المحاماة. انها الرئيس الحقيقي لكنها عادة ذكية كفاية لعدم تذكيري بذلك.»

وضعت ماغي حقيبة الحفاضات داخل الغرفة وقالت معتذرة: «آسفة لتعريضك لهذا الارتباك بإحضار ماثيو إلى مكان عملك لكن لم يكن من خيار آخر.»

أجابها: «لا مشكلة لولا ارتباطي بموعد مع احدى

موكلاتي لوفرت عليك عناء المجيء إلى هنا لإحضار ماثيو ولكنت ذهبت انا إلى المنزل.»

«سأطلب منك خدمة ثانية.»

«اطلبي أي شيء.»

«هلا خبزت فطيرة الحلوى هذا المساء؟»

«لكن ظننت ستتناول العشاء في الخارج غداً.»

ردت ماغي: «اعرف، لكن اتصلت جيني اليوم وارادت ان تعرف عن اخبار العشاء وقد انفجرت بالبكاء حين اطلعتها على تغييرنا لمخططاتنا، قائلة انها تشعر بالذنب كفاية لقضاء ماثيو ليلة العيد دون والديه ولهذا تريد ان يحظى على الأقل بذكريات سارة حول عشاء منزلي.»

اومأ دان برأسه وقال: «إذا خبزت الفطيرة فستتذكر ذلك جميعاً، لكنها لن تكون ذكرى سارة.»

«حضرت كل شيء وليس عليك الا خبزها، تركت لك التعليمات على طاولة المطبخ. يفترض الا تواجه أي مشكلة بذلك.»

«الكلمات الأخيرة الشهيرة، أسبق وذكرت لك انني لا اطبخ؟»

«هذا ليس طبخاً بل خبزاً.»

«جيد، راقبت جيني تعد الكعك في السابق، هل تعتبرينها خبرة كافية؟»

«أجل.»

«وماذا يفترض بي القيام غير ذلك؟»

«اعتن بماثيو فقط.» ردت وانحنت تقبل ماثيو ثم تابعت: «إلى اللقاء يا صغيري، احبك.»

«شكراً.» رد دان بمرح متظاهرا ان ماغي تخاطبه.

لوى ماثيو فمه وتمتم: «ماغ لا باي باي.»

قطب دان وقال: «مهلاً دعيني ألهيه بشيء ما كي تتسللي انت خارج المكتب دون ان ينتبه إليك.»

اخذ ماثيو إلى مكتبه واراه الصورة الموجودة عليها وسأله: «من هذه؟»

رد ماثيو: «ماغ.»

كانت ماغي على وشك مغادرة الغرفة لكنها توقفت ونظرت إلى دان، لماذا يضع صورتها على مكتبه ومن اين حصل عليها؟

«اجل.» وافقه دان دون ان يرفع نظره ثم سأله: «ومن هذا؟»

اشار ماثيو إلى نفسه قائلاً: «ماثيو.»

«هذا صحيح، وهذا؟»

«بابا.» وتابع الصغير قبل ان يسأل دان قائلاً: «ماما.»

اغلقت ماغي الباب خلفها بهدوء وسارت إلى الخارج، متسائلة عن سبب وضع دان صورتها على مكتبه، قبل رحيل غاري إلى الاسكا التقطت ماغي الصور له ولجيني وماثيو وقد ساعدهم احد الجيران بالتقاط بعض الصور لهم جميعاً، اخذ غاري بعض الصور معه وظل الباقي مع جيني، وقد سمعت مرة جيني تعرض على دان اختيار صورة واعتقدت ماغي بالطبع انه سيختار صورة لابنه وزوجته وحفيده. ما لم تتوقعه ان تكون هي أيضاً من بين الصور المختارة. رغم تساؤلها الا انها كانت مسرورة لسبب تجهله لاختياره هكذا صورة.

وضعت كارول سماعة الهاتف مكانها بمرور ماغي قرب

مكتبها ونهضت قائلة: «سررت بمقابلتك يا ماغي، وعيد سعيد لكم.»

ابتسمت ماغي لها قائلة: «شكراً لك.»

«سأغادر فور انتهاء دان من موعده. لولا قضاياه المجانية تلك لكنا اقفلنا اليوم المكتب قبل الآن.»

سألت ماغي: «وهل يعالج الكثير من هذه القضايا؟»

ضحكت كارول مجيبة: «نقطة ضعف دان القضايا المحزنة. لا يمكنه رفض طلب أي كان بحال كان قادراً على المساعدة. هو يقبل بكل القضايا التي يحتاج اصحابها حقاً للمساعدة أو للإنصاف.»

كان هذا جانباً من شخصية دان لم تعتقد ماغي بوجوده اصلاً، فلطالما اعتقدته من نوع المحامين الذين يؤدون اعمالهم بدافع تأمين رفاهية حياتهم، لا كمجال لعمل الخير.

ظلت ماغي تفكر بكلمات السكرتيرة طوال طريقها إلى المستشفى. وفهمت اكثر سبب نجاح جيني بخطتها لدخول منزله وحياته، لكن ما لم تفهمه ماغي كان سبب اعتقادها اصلاً انه بارد المشاعر.

www.eromancia.com

الفصل الثامن

قام دان تلك الليلة باشعال نور مصباح المنزل الخارجي في الحادية عشرة والربع، فموعد وصول ماغي هو الحادية عشرة والنصف ولا يريد وصولها إلى منزل مظلم.

كان قد وضع ماثيو في فراشه قبل ساعات وخبز الفطيرة وفقاً لتعليمات ماغي، وكانت الفطيرة الذهبية تبرد الآن في المطبخ دلالة على المقولة القديمة ان كل من بإمكانه القراءة بإمكانه الطهي. غسل اطباق العشاء ونظف الفوضى التي تسبب بها، وقد فعل ذلك بسعادة لم يكن يشعر بها من قبل، شعر وكأنه حقاً يعيش في منزله وليس فقط يتواجد بين جدرانه وحسب، بعد انتهاء اعماله في المطبخ جمع العاب ماثيو ووضعها في الصندوق ثم رتب الصحف والمجلات مكانها في غرفة الجلوس، ثم وجد نفسه يدندن لحناً ما اثناء قيامه بهذا وضحك لهذا التبدل الجديد فيه، في السابق ما كان يملك الوقت ولا النية للقيام بالترتيب. الآن انه يتردد بإحضار حقيبة العمل إلى غرفة الجلوس مكتفياً بالعمل في غرفة المكتب فقط كي يحافظ على نظافة غرفة الجلوس.

شعر بالرضى لترتيب المجلات بتلك الطريقة. الآن لم يبق امامه شيئاً سوى الانتظار، جلس وأدار جهاز التلفزيون إلى ان شدّ انتباهه شيء ما، منذ سفر جيني إلى آلاسكا كانت تبدو الدقائق القليلة التي تسبق وصول ماغي للمنزل طويلة ودون نهاية.

حين سمع دان صوت باب المرآب يفتح عدّل من جلوسه على الكنبة وركّز نظره على الشاشة التلفزيونية امامه. لا داعي للاعلان عن سعادته بوصولها.

قالت بصوت متعب: «سأرتب اغراضي لاحقاً؟»

كان تصرفها مغايرا تماماً لطبيعتها المعتادة لذا فقد نظر دان اليها مفكراً وسألها: «ما الخطب؟ هل تشعرين بسوء؟»

كانت ماغي تشعر بسوء كبير ولم تكن بحاجة الا لعناق بسيط ومواساة، لكنها لم تعرف كيف تقول له ذلك.

تنهدت وقالت: «انا بخير.»

اطفأ التلفاز واقترب منها ثم وضع يده على جبينها قائلاً: «كاذبة، هناك خطب ما لكن على الأقل حرارتك عادية.»

«اعرف ذلك فأنا ممرضة، اتذكر؟»

شعر دان ان تعب ماغي نفسي لا جسدي وأزعجه عدم ثقتها به لاطلاعه على ذلك وتناسي تحفظها.

قال: «اخبريني فقط وستتحسن حالك.»

نصحت ماغي المئات في عملها بما يقوله دان الآن. فالمشكلة التي يتشارك بها شخصان، تخفّ بمقدار النصف. انها تعرف تماماً كيف تواسي وتخفف عن الآخرين لكن تقبلها هي للمواساة أمراً آخر.

«كان يوماً صعباً.»

ثم فاجأته بهذا السؤال: «هل خشيت يوماً الموت وانت وحيد؟»

فاجأ سؤالها غير المتوقع دان لكنه قال: «احاول الا افكر بالموضوع.»

ردت بهدوء: «انا علي التفكير بهذا دوماً في مجال عملي، مثل هذه الليلة مثلاً.»

«هل حدث شيء لواحد من مرضاك؟»

«السيد برادلي وهو احد مرضاي في العناية المركزة، سقط في غيبوبة قبل بضعة ايام، كان بالغ الرقة وكثير المرح رغم مرضه الخطير.»

انهمرت دمعة وحيدة على وجهها وشعرت بدان يقترب منها ويحيطها بذراعه.

«ماذا حدث؟»

حاولت الابتعاد عنه وتساءلت بالوقت ذاته عن سبب احجامها عن كشف ضعفها امامه.

امسك بها بقوة وقال: «قد يساعدك البكاء يا ماغي، تباً، لست مضطرة لتكوني قوية على الدوام. انت في المنزل الآن، لا داع لاظهار الجدية المهنية امامي الآن.»

ادركت انه يقول الحق، لربما كان السر فيما قاله أو في الطريقة التي قالها، لكن ماغي وثقت به وشعرت انه لن يسيء استخدام تلك الثقة.

همس بإصرار: «اخبريني يا ماغي، دعيني اشاركك بهذا.»

«لم استطع القيام بأي شيء.» تمتمت والحزن يغمر كلماتها وغطت وجهها بيد مرتجفة وتابعت: «لم يكن للرجل المسكين عائلة، لم يكن لديه احد ليبكي عليه، شعرت بالأسى الشديد عليه، ليس لأنه كان يحتضر فقط، لكن لأنه كان يودع هذه الحياة ويده ممسكة بيد غريبة عنه.»

«آسف يا ماغي.» قال ذلك بحزن بينما انخرطت هي بالبكاء.

حين ذرفت دموعها لمس دان شعرها وقبل جبينها، مانحاً إياه التعزية والطمأنينة، لكن ماغي شعرت برغبة بالعيش، رغبة باختبار السعادة بعد الحزن، لم ترغب بأن تصبح عجوزاً دون ان تعرف معنى الوقوع بالحب. ارادت ان تكون مهمة لشخص ما وحالياً هذا الشخص كان دان.

سألها بدقة: «كيف تشعرين الآن؟»

«احسن حالاً بكثير.»

سألها: «انت لم تتناولي أي عشاء؟»

ردت: «سأعد لنفسي ساندويشاً.»

«لا، لن تفعلي، كنت تعتنين بالآخرين طيلة النهار.»

تركها بتردّد ونهض قبل ان تنطق باحتجاجها، ثم وضع وسادة خلف كتفها وسحب لحاف ماثيو من الصندوق قربه ووضعه عليها.

تابع: «الليلة انا من سيعتني بك، انت اكتفي بالجلوس والاسترخاء وسأحضر لك ما تأكلين.»

لم تتفوّه ماغي بأي اعتراض بل على العكس لقد رحّبت بهكذا تغيير ولو لمرة واحدة، وكان دان محقاً، فهي لم تقض النهار تهتم بالآخرين فقط بل هي قضت معظم حياتها فاعلة ذلك لجيني، ووالدتها وماثيو.

لم يسبق لها التفكير بهذا من قبل لكنها لا تذكر اهتمام احد بها من قبل بالطريقة التي تقوم بها هي نحو الآخرين. التفت باللحاف وتنشقت عطره الطفولي، شعرت بالدفء والأمان، كل ما ارادته هو ان تغمض عينيها لتفكر بالطريقة الحنونة المحببة التي كان دان يهتم بها فيها.

بعد بضع لحظات عاد دان حاملاً صينية الطعام، نظرة

واحدة إلى وجه ماغي الشاحب النائم جعلته يضع الصينية على الطاولة بهدوء، فهي بحاجة إلى النوم والراحة اكثر من حاجتها إلى تناول الطعام. اطفأ المصباح ولفها باللحاف جيداً.

فسألت بنعاس: «دان؟»

«أجل ماغي.»

«هلا حضنتني ثانية؟ اتضع ذراعيك حولي فقط؟»

كان صوتها غير واثق وحاجتها الماسة اليه جلية وواضحة لذا لم يستطع دان الا ان يستجيب، جلس إلى جانبها واضعاً ذراعيه حول كتفيها.

استغرقت بالنوم ثانية وعلى الفور. حين اراد الابتعاد ليأوي إلى فراشه تعلقت به، فلم يجد بدا إلا والاستلقاء قربها على الكنبة الواسعة.

«رغم روعة هذا الشعور يا ماغي لكني لا اظنها فكرة جيدة.»

فردت بصوت ناعس: «إبق هكذا لبضع دقائق فقط، أرجوك.»

كانت كلماتها همسات دافئة، فدان لم ير هذا من ماغي من قبل ابداً. خلف الواجهة الباردة للمرأة المستقلة المتكبرة كان هناك أنثى حساسة ضعيفة لم تعرف عمق احتياجاتها بعد. ومثله تماماً لقد تحاشت وبنجاح تام ألم اختبار الذات ولسنوات. اجبر دان نفسه على الاسترخاء مشدداً ذراعيه حولها.

استيقظت ماغي صباح اليوم التالي على ضوء الصباح يغمر المكان وادركت انها قضت الليلة على هذه الكنبة، حدقت

بوجه ماثيو الضاحك امامها، وقالت: «صباح الخير حبيبي.»

قال ماثيو وهو يقبلها ثانية: «استيقظي يا ماغ.»

ضحك دان وحمل ماثيو مردداً: «أجل يا ماغ استيقظي فنحن بحاجة لنصحك.»

تساءلت متى ترك دان مكانه قربها؟ ام لعله ظل نائماً قربها طيلة الليل؟ رغم رغبتها الشديدة لمعرفة ذلك، الا انها لم تتجرأ على طرح السؤال.

نظرت حولها وسألت: «آه، لا، كم الساعة الآن؟ علي وضع ديك الحبش في الفرن.»

اجابها دان: «لقد فعلت وماثيو ذلك. نزعنا عنه كل الورق ولففناه بالورق المعدني ثم ادخلناه الفرن.»

«كنت اخطط لوضعه في المقلاة أولاً.» قالت وهي تتمطى وشعرت بالسعادة لمعرفتها ان دان يراقب كل حركاتها وتابعت: «هل غسلته أولاً؟»

قطب دان مخاطباً ماثيو: «لم نعرف ان علينا غسله أولاً، أليس كذلك؟»

هز ماثيو رأسه بالنفي.

ابتسمت ماغي متخلية عن ارتباكها السابق امام مرح دان. وذهلت لاكتشافها الجديد بعمق حبها لدان الذي يفرح قلبها، وغفوتها البارحة بين ذراعيه لم تكن مؤلمة اطلاقاً.

«اعطني عشر دقائق للاستحمام لكن اخرج الديك الرومي من الفرن.»

فمازحها قائلاً: «هل اضعه في الغسالة؟»

قالت: «فقط اخرجه من الفرن ولا تقم بأي شيء آخر لحين عودتي.»

صاح: «سننتظرك.» ثم تابع مخاطباً ماثيو: «اظنني كنت بانتظارها لفترة طويلة.»

وضع ماثيو ذراعيه الصغيرين حول عنق دان وقال: «ماغ.»

عانق دان حفيده مدركاً ان هذا العيد يحمل له ما يستحق الشكر فعلاً.

قبّل الصغير قائلاً: «وانتظرتك انت أيضاً.»

عادت ماغي إلى المطبخ بعد وقت قصير لتجد ماثيو في كرسيه قرب المجلى حيث دان يصارع ديك الحبش محاولاً غسله، قبّلت ماغي رأس ماثيو وسألت: «ماذا فعلت بالكيس الصغير الذي كان داخل ديك الحبش؟»

قطب دان واجابها: «لم اجد أي كيس داخله، رميت الورق الذي كان يلفه في سلة المهملات لعلّ الكيس الصغير هناك أيضاً.»

«لم تجد الكيس الذي يحتوي الكبد وما إلى ذلك؟»

«لم اكن ابحث عن ذلك لكني متأكد انني وجدت ديك الحبش فقط داخل تلك الأوراق، وقد عانيت الأمرين بتحرير الطائر المسكين من كل ما كان يلفه.»

قالت: «انه لايزال داخل الطائر.»

اوقف دان الماء وجفف يديه ثم قال: «لهذا لم أجده ربما، لم اعرف انه علي تشريح الطائر، كنت سأطبخ هذا الديك فقط.»

«لا انصح بطبخه والكيس لايزال بداخله.»

حدق دان بطرف الطائر حيث كان رأسه وقال: «لا أرى شيئاً.»

ابتسمت وقالت: «ابحث في الطرف الآخر.»

رفع حاجبيه ونظر إلى ماثيو مقلداً صوته وقال: «آه هذا عمل الممرضة.»

ضحكت ماغي ومدت يدها عبر موخرة الطائر واخرجت كيساً من داخله.

هتفت: «ها هو! حين ترغب بالقيام بشيء على اكمل وجه فعليك طلب ذلك من المختص.»

سيطر المرح هذا حتى باقي ساعات النهار، فحين قرّر دان وماغي تعويض ماثيو عن غياب والديه بمثل هذه المناسبة العائلية، اتخذا للعيد صبغة جديدة، وجعلا ماثيو محور اهتمامهما طيلة النهار.

عشية يوم الأحد فيما كان الثلاثة يتناولون طعام الغداء، وصلت جيني البالغة السعادة إلى المنزل، وتعانقت هي وماغي بترحيب شديد وكأنهما افترقا لأكثر من سنة.

صاح ماثيو وهو يرفع ذراعيه للأعلى: «ماما، ماما.»

رفعت جيني طفلها عن كرسيه وحضنته بلهفة ممطرة وجهه بالقبلات قائلة: «لقد اشتقت كثيراً لك.»

جلست إلى الطاولة واضعة ماثيو على ركبتيها.

قال دان بعد ان رحّب بها: «ظننتك لن تصلي قبل الساعة الرابعة.»

ردت جيني: «كان غاري مضطراً للعودة إلى العمل وانا لم احبذ البقاء وحدي في الفندق. خابرت شركة الطيران وحجزت لرحلة باكرة تتجه إلى هنا. قابلت سيدة بالغة اللطف تعيش في الجوار وقرّرنا مشاركة سيارة الأجرة وها أنا ذي.»

«نحن مسرورون لعودتك.» قالت ماغي وقد ودّت بقرارة نفسها لو طالت فترة بقائها مع دان وماثيو وحدهما اكثر من

ذلك، فالفترة الأخيرة صبغت علاقتهما بجو جديد مرح وخال من التوتر.

ثم سألت ماغي شقيقتها جيني: «كيف حال غاري؟»

اغمضت جيني عينيها وتمتمت بسعادة: «انه رائع. واحمل اليكم انباء سارة.» صمتت جيني قليلاً كي تزيد من التشويق ثم تابعت: «قد يعود للوطن في العيد القادم.»

امسكت ماغي بيدي شقيقتها وهتفت: «هل سمع عن المنحة المدرسية وتقدم بطلبها؟»

«ليس بعد لكنه لايزال متفائلاً بهذا الشأن.»

قالت ماغي: «جيد.» فإذا تسلّم غاري مال المنحة سيضطرون للانتقال إلى اوستن، لكنها رغم الألم الذي قد يسببه فراقهم، تود ذلك لهم. فعلى جيني وماثيو وغاري البقاء معاً كأي عائلة طبيعية، وبعد ذلك سيتسنى لها الوقت للتفكير بحاجاتها هي.

قال دان: «أتمنى لو كان بمقدوري تقديم أي مساعدة.»

ردت جيني: «سيكون كل شيء على ما يرام، اشعر بذلك في اعماقي، لقد اخبرت غاري كل شيء عن مكان اقامتنا.»

ظهرت الدهشة على ماغي وقالت: «ولم ينفجر بوجهك كالقنبلة الموقوتة؟»

اجابت جيني: «صدق أو لا تصدق، لم ينفجر.»

سألها دان: «الم يغضب منك؟»

ابتسمت جيني وقالت: «أنا لم اقل ذلك. قلت انه لم ينفجر، بل ظل هادئاً وصامتاً، ظل بالغ الهدوء والصمت لدرجة اعتقدت معها انه لن يكلمني بعد الآن أبداً.»

وصف جيني لردة فعل ابنه جعل دان يبتسم، فتلك هي

طريقته بالضبط حين يغمره الغضب الشديد. إذن بينه وبين غاري قواسم مشتركة اكثر مما يعتقد.

طمأنتهم جيني بقولها: «لا تقلقوا. سيتفهم الأمر في النهاية. ويا دان عليك وغاري التحدث مطولاً حين يعود للمنزل، عليكما تسوية خلافاتكما نهائياً.»

«هذا سيحتاج إلى وقت.» علّق دان فقد جعلته الاسابيع القليلة السابقة يشعر بعمق حاجته إلى استعادة ابنه. وهو مستعد الآن لفعل أي شيء لتأمين هذه المصالحة وهذه العودة.

اشرق وجه جيني بابتسامة وهتفت: «شهر العيد هذا هو شهر جمع شمل العائلة. وعلينا جميعاً التعاون لتحقيق ذلك. فمستقبل عائلتنا وسعادتها على المحك.»

ساورت دان الشكوك بهذا الشأن. سعادة العائلة بأكملها؟ ماذا لو اغرم هو وماغي ببعضهما وتزوجا؟ بحال رفض غاري التصالح معه فهو سيرفض بالتالي أي اتصال بينهما. بحال حدوث ذلك ستتعرض ماغي للإبتعاد عن شقيقتها الحبيبة وطفلها الحبيب.

قرّر دان عند هذا الحد التوقف عن التفكير بالاحتمالات والتركيز على مشكلة واحدة في كل مرة.

فسأل جيني: «هل وافق غاري على رؤيتي؟»

ردت: «ليس بعد، لكنه وافق على التفكير بالأمر، كلاكما ارتكب الاخطاء في الماضي وعظمت هذه الاخطاء لأنكما لم تتحدثا عن شعوركما لبعضكما البعض، ولن ندع هذا يحدث ثانية.»

وعدها دان قائلاً: «سأبذل كل ما بوسعي. شكراً لك يا جيني.»

«لا تشكرني الآن بعد. كل ما فعلته هو تسهيل الطريق امامكما انتما الاثنين. من الآن فصاعداً فالعبء يقع على رجال لوكاس لجعلنا عائلة واحدة ثانية.» نظرت إلى ابنها النائم بسعادة بين ذراعيها ثم تابعت: «سأصعد بإبن لوكاس هذا للطابق العلوي وسننام قليلاً، فالرحلة قد أرهقتني.»

قالت ماغي مبتسمة: «انا مسرورة بعودتك إلى المنزل، فقد اشتقنا لك جميعاً.»

لاحظ دان بريق خيبة أمل في عيني ماغي قبل ان يقول: «سأنظف المائدة هنا واصعدي يا ماغي مع جيني لمساعدتها في توضيب اغراضها.»

نظرت جيني إلى دان أولاً ثم إلى شقيقتها ثم ابتسمت وطبعت قبلة على خد دان قائلة: «انت رجل جيد وانا فخورة كونك والد زوجي.» بهذا غادرت جيني الغرفة وتبعتها ماغي.

فكر دان بابنه وهو ينظف المائدة، يجب ان يوافق غاري على هذا اللقاء. فدان يرغب بقول الكثير له. وعليه بطريقة ما إفهامه كيف توسع الصدع بينهما وكيف بدأ. هو يعلم ان عليه كسب احترام غاري ثم حبه ان استطاع. لكن كوالد، فلديه الحق والمسؤولية بشرح ظروفه لابنه.

سرح فكر دان إلى فكرة اخرى جعلته يتشنج، إن كان هذا صحيحاً فماذا عن جوني لوكاس، والده هو؟ هل له بدوره حقاً في عائلة لوكاس؟

كان دان في السادسة عشر حين هجره والده جوني تاركاً إياه ووالدته وحدهما ورفض هو بعناد التحدث مع والده،

وفي سماع وجهة نظره بهذه القصة، لطالما امتعض من والده جوني لاستسلامه وسلكه الطريق الأسهل للتهرب من مسؤولية الوالد تجاه زوجته وابنه، لكن ألم يفعل هو بدوره هذا؟ طبعاً كانت ظروفه مختلفة، لكن دون شك كانت لجوني اسبابه الخاصة للهروب بتلك الطريقة بدل البقاء مع العائلة، ولطالما افترض دان ان والده اختار الابتعاد عن أحبائه، لكن الآن بعد خبرة السنوات الماضية لم يعد دان متأكداً من ذلك.

في الطابق العلوي وضعت جيني طفلها ماثيو في سريرها بعناية ثم استلقت قربه.

سألتها ماغي: «الن تضعيه في مهده؟»

«أريد ان اكون أول من يراه عندما يستيقظ.»

ابتسمت ماغي وهي تغطيهما قائلة: «كان رائعاً اثناء غيابك.»

ابتسمت جيني وردت: «اعرف، اعتقد انه اصبح فاسداً من كثرة الدلال بعد بقائه مع خالته المحبة وجدّه المحب.»

جلست ماغي على طرف السرير وقالت: «بإمكان والدته المحبة استلام الأمر الآن.»

قالت جيني: «اخبريني.»

ردت ماغي: «كان ماثيو رائعاً.»

«اعرف بشأن ماثيو. اريد ان اعرف ما الذي حدث بينك وبين دان اثناء غيابي. ولا تخبريني انكما لم تستغلا الوضع بعدم وجودي هنا معكم.»

«هذا بالضبط ما سأخبرك به، لم يحدث أي شيء.»

«ارجوك لست بهذا الغباء، أرى بوضوح التبدل الكبير في علاقتكما. اريد فقط ان اعرف سبب هذا التبدل.»

تنهدت ماغي بإحباط، سيكون عليها اطلاع جيني على هذا في وقت ما، لكن حبها لدان لازال امراً جديداً عليها، لذا فهي لا ترغب بمشاركة شقيقتها بهذا الآن بعد، فقالت: «ارجوك حاولي التخفيف من حماسك بهذا الشأن خاصة امام دان، لا انكر حدوث بعض اللحظات العاطفية والحنونة بيننا اثناء غيابك. لكنه لم يعبّر عن أي التزام بعلاقة من أي نوع.»

«هل قال لك ذلك مباشرة؟»

«لا، حتى اننا لم نناقش ذلك بعد. لست مستعدة لذلك بعد انا أيضاً.»

«حسناً لا تهدري الكثير من الوقت بالتفكير بهذا والا افسدت روعة مشاعرك.»

لا شكوك لدى ماغي بهذا الأمر بعكس شقيقتها، فخلال الاسبوع الماضي قضت وقتاً ممتعاً برفقة دان وماثيو، لكن ذلك لم يمنعها من الاستغراق في التفكير. فقد وجدت نفسها تتلهف للعودة إلى المنزل بعد العمل لاطلاعه عما حدث معها خلال النهار. حتى انها تحدثت عنه لصديقاتها المقربات في المستشفى ووجدت نفسها تستمتع بلفظ اسمه عالياً.

قالت ماغي محاولة انهاء الحديث مع شقيقتها: «املك الكثير من المشاعر يا جيني.»

«لكن ما تفعلينه حيال تلك المشاعر هو الأمر المهم. ألم تلاحظي قدرة دان على قراءة افكارك حول رغبتك بقضاء بضع دقائق معي على انفراد؟ انا لاحظت ذلك. وان لم تشاهدي تلك النظرة العميقة في عينيه، فلا شك انك بحاجة إلى نظارات طبية.»

«لربما بإمكاني استعارة نظاراتك احيانا. بوصفي

شقيقتك الأكبر سناً، اطلب منك رسمياً عدم التدخل بهذه المسألة وتتركيني ودان لإيجاد طريقنا بأنفسنا.

فقد حدث كل شيء بسرعة كبيرة لدرجة انني غير قادرة على الاستيعاب والتركيز.»

«لن اقطع أي وعود يا ماغي.»

قطّبت ماغي وقالت: «اعترف بأنني اشعر بشيء ما تجاه دان. لكن ذلك الشعور غير منطقي وغير عملي في هذه المرحلة من بداية تعارفنا.»

«وماغي هيو العملية غير مستعدة للسقوط في بحر الحب، أليس كذلك.»

«شيء من هذا القبيل. وأيضاً هناك اعتبارات أخرى.»

«مثل ماذا؟»

«كنت اقيم عملي في التمريض اثناء غيابك، واظن الوقت قد حان لإجراء بعض التغييرات.»

رفعت جيني حاجبيها بتساؤل وسألت: «اتفرين مذعورة الآن يا شقيقتي؟»

«لا مطلقاً. لكني لا احتمل عدم الاستفادة من فرصة جيدة وسمعت شائعات في المستشفى حول مركز مهم سيصبح متوفراً عما قريب، وهو مركز مديرة الممرضات في فرع جديد لمعالجة الأمراض المستعصية والذي سيفتتح قريباً.»

بدت الشكوك على وجه جيني وسألتها: «هل تقدمت بالطلب إلى هذا المنصب؟»

«ليس بعد، فقد رغبت بمناقشة الأمر معك أولاً.»

جلست جيني على السرير وقالت: «هذا لطف منك لكن منذ متى تناقشين قراراتك العملية معي؟»

«منذ ان عرفت ان قبولي في هذا المنصب سيعني رحيلي خارج الولاية. فالمركز الجديد سيكون في مدينة اوكلاهوما.»

بدت الصدمة على جيني وسألت: «ستتركين العائلة؟»

«اذا حصل غاري على المنحة التي يحتاجها لكلية الحقوق، فستنتقلون انتم الثلاثة إلى اوستن ولن تعودوا بحاجة إلي.»

«سنحتاج دائماً اليك يا ماغي فأنت شقيقتي. اعلم اننا اثقلنا عليك في الماضي لكن...»

قاطعتها ماغي قائلة: «هذا هراء، لم اقم بأكثر ما اردت القيام به لكني الآن سأكون حرة في القبول بهذا المنصب بحال عرض عليّ، ولن اشعر بالذنب أو الانانية لقيامي بذلك.»

تابعت ماغي تشرح اهمية هذا العمل وكأنها تحاول اقناع نفسها اكثر من اقناع شقيقتها. فهي لم تكن تريد الرحيل، لكن الأكثر اماناً لها ان ترحل بدل انتظار شيء قد لا يحدث.

«لا يسعك الهروب. لا من نفسك ولا من دان.»

تجاهلت ماغي ملاحظة شقيقتها الحكيمة وقالت: «هذه خطوة مهمة لي وعلي التقدم لأخذها، إذا لم احاول فلن اعرف ابداً ان كنت قادرة على تحقيقها.»

سألت جيني: «وماذا عن دان؟ سيبقى وحيداً مجدداً.»

«لربما هذا ما يريد.» ردت ماغي وتابعت بصوت مرتعش: «ان عادت الأمور إلى نصابها بينه وبين غاري، فسيتمكن من رؤية ماثيو متى اراد. وسيحظى بالعائلة التي طالما ارادها.»

«لكنه لن يحظى بك يا ماغ، انه يحتاج اليك اكثر من أي شخص آخر.»

نهضت ماغي وسارت نحو الباب. هل يحتاجها حقاً؟ هل سيعترف بذلك؟

قالت ماغي: «دان معتاد على العيش بمفرده، ولعله يفضل الاستمرار على تلك الحال. قد لا نعرف ذلك ابداً، لأنه من النوع الذي لا يشارك اسراره مع احد.»

اغلقت ماغي الباب خلفها بهدوء لكن ليس قبل ان تسمع قول جيني لماثيو: «الخالة ماغ وجدّك يحبان بعضهما البعض، هذا جلي كالغمازة الموجودة على ذقنك هذه. من المؤسف جداً انهما لا يدركان ذلك بعد.»

«ماغ، جدّي.» تمتم ماثيو بنعاس.

«لا تقلق فماما لن تدعهما يرتكبا حماقة كبرى، فبعض الناس لا يعرفون ما هو الأفضل لهم.»

سمعت ماغي شقيقتها جيني تقهقه قبل ان تتابع: «لكننا نعرف، اليس كذلك أيها الطفل الكبير؟»

الفصل التاسع

ترك دان الاعمال تتراكم عليه اثناء عطلة العيد لذا كان عليه العمل بشكل مضاعف خلال الاسبوع التالي. ولأجل ذلك كان يغادر باكراً إلى المكتب دون التمكن من مشاركة ماغي الركض الصباحي. كان يعود إلى المنزل في ساعة متأخرة ويأوي للفراش مرهقاً قبل موعد عودة ماغي.

مع يوم الخميس، ادرك انه كان يتلهف لعطلة نهاية الاسبوع اكثر من العادة. وكان هذا تبدلاً جذرياً لدى مواظب على العمل مثله. كان يعتبر دوماً العطلة مجرد وقت اضافي لإنهاء الأعمال، فقبل شهرين ما كان ليعتبر الراحة من العمل متعة مشوقة كما يعتبرها الآن.

الآن سيستغل عطلة الاسبوع ليحظى بنوم اضافي، للعب مع ماثيو وان كان محظوظاً لقضاء بعض الوقت مع ماغي.

قطع حبل افكاره هذا عندما لوّحت سكرتيرته بدفتر مواعيده امام ناظريه وهي تقول: «هل افكارك في إجازة؟»

ردّ: «آسف يا كارول كنت افكر بشيء آخر.»

«أو بشخص آخر.»

«في الواقع انا لم أرَ حفيدي طيلة الاسبوع.»

«ان سألتني لقلت انك مشتاق لخالته قليلاً أيضاً.»

نهض دان من مكانه قائلاً: «لا انكر انني سألتك ذلك.» اخذ يسير في الغرفة وقد ازعجه قراءة سكرتيرته لأفكاره ثم

تابع: «بما انك فتحت الموضوع، اريد ان اخبرك بأن الخالة فرد من العائلة بدورها. هذا كل شيء.»

ردت كارول بابتسامة خبيثة: «هيا ايها المحامي لا اصدق كل ما اسمعه، كما لا اصدق ما سمعته للتو. لست متقدمة بالسن كثيراً كي لا الحظ تلك النظرة العميقة في عينيك.»

فأشار قائلاً: «لست متقدمة بالسن كثيراً كي لا تعرفي خطورة مجادلة رئيس عملك.»

«حاضر يا سيدي! هل انت مستعد لإنهاء تلك الرسالة سيدي! أم ترغب ان أنهيها بنفسي؟»

رد بجفاف: «بما انك بارعة بقراءة ما بين السطور فلِمَ لا تفعلين؟»

ابتسمت كارول قائلة: «اعيش لكتابة رسائلك. على فكرة تمّ الغاء موعدك للساعة الرابعة، لِمَ لا تخابر العائلة وتصطحب واحد من افرادها لتناول العشاء في الخارج الليلة؟»

«ظننت لدي موعداً في الخامسة والنصف؟»

«هذا صحيح، لكن عندما اتصل صاحب الموعد في الساعة الرابعة، تصرفت بحرية بالغاء موعد الخامسة والنصف إلى الواحدة من بعد ظهر الغد. الست سكرتيرة جيدة؟»

رد دان: «انت كنز لا يقدر بثمن، كما وانك كثيرة المشاكسة.»

ابتسمت كارول معتبرة هذا مديحاً وقالت: «إدارة مكتبك وحياتك قد يكون عبئاً ثقيلاً، لكن على احدهم القيام بذلك.»

صاح دان لها وهي تقفل الباب بعد مغادرتها مكتبه: «كلك مشاعر يا ليتون.»

فردت من خلف الباب: «فقط تذكر ذلك في وقت دفع مكافأة العيد.»

ابتسم دان. انها المرة الأولى التي يقدر فيها تدخل كارول بحياته الخاصة. سيتمكن الآن من العودة إلى المنزل لقضاء أمسية هادئة برفقة جيني وماثيو، وبعدها سيحظى بفترة نوم قصيرة قبل موعد وصول ماغي، لربما حان الوقت لهما للتحدث بشأن الأمور العالقة بينهما.

شم دان رائحة طعام شهي لحظة دخوله المنزل، فذهب مباشرة إلى المطبخ حيث وجد جيني.

«ما هذه الرائحة الشهية؟ أهي لازانيا؟»

«أجل.» ردت جيني وتابعت: «انه طبق بريك المفضل.»

«بريك؟»

شرحت جيني قائلة: «انه صديقنا، في الواقع هو صديق ماغي، بريك هو لقبه، لذلك علاقة بالعضلات على ما اظن.»

«يبدو خفيف الظل.» علق دان لكنه لم يكن واثقاً من اعجابه بفكرة ان يكون لماغي صديقا لقبه مستوحى من القوى الجسدية.

ردت جيني: «انه كذلك بالفعل، ويعيش في المبنى ذاته حيث شقة ماغي. وبما اننا سننتقل إلى هناك في نهاية هذا الاسبوع، فقد دعوته لتناول طبقه المفضل مقابل إعارتنا لشاحنته كي ننقل اغراضنا يوم السبت.»

«نهاية هذا الاسبوع؟» سأل دان محاولاً إخفاء خيبة أمله، فهو كان يعرف بقرب رحيلهم لكنه لم يتوقع ان يكون بهذه السرعة.

قالت جيني: «اردت الاتصال بك بعد ان عرفنا الخبر من المتعهد اليوم لكني اضطررت للاتصال أولاً بشركة الترميم للتأكد من انهم سيعيدون كل شيء مساء الغد.»

غطت جيني طبق السلطة ووضعته في الثلاجة ثم نظرت

إلى العجينة في الفرن متابعة: «آمل انك لا تمانع بدعوتي بريك إلى العشاء.»

اتكأ دان على المجلى فهو لم يقرر بعد سواء اكان يمانع أم لا وقال: «اريدك ان تتصرفي وكأنك في منزلك.»

«بما انه كان لطيفاً كفاية لعرض مساعدته علينا بنقل الأغراض، فلا بد انك ممتناً له.»

لم يتوقع دان ان يكون ممتناً لشخص يدعى بريك لكنه قال: «بالطبع لا مانع لدي يا جيني فهذا منزلك أيضاً كما تعرفين، اقلت ان بريك سيعيركم شاحنة؟»

«أجل.»

«ماذا لو حمّلتها بنفسي وقدتها؟»

«لطف منك قول هذا لكن بإمكان بريك القيام بذلك. فهو لا يحبذ ان يقود احدهم شاحنته، تعرف مدى تعلق هكذا اشخاص بسياراتهم..»

«بوسعي تصوّر ذلك فقط.» ردّ دان وقد بدأ يرسم صورة لصديق ماغي هذا بوصفه رجل ضخم ينتشر الوشم على ذراعيه وشعره منسدلاً على كتفيه.

قالت جيني: «انا واثقة من ان بريك لن يمانع بمساعدة احد هذا إذا كان لديك الوقت لذلك.»

«اقلت ان بريك هذا هو صديق لماغي؟»

ابتسمت جيني وكأنها سعيدة وقالت: «انه يملك الشقة الرابعة في نفس الطابق وهي تسكن الشقة الأولى.»

«إذن فهو مجرد جار.» استنتج دان وساعدته هذه الفكرة على التخفيف من حدة الغيرة في قلبه. لم يسبق له ان شعر بهذا وكان منزعجاً لذلك، لذا تابع: «هو ليس صديقها تخرج بمواعيد معه؟»

«لن اقول انه مجرد جار، اظنهما تناولا البيتزا معاً مرة أو مرتين. وقد اصحطبته إلى الحفل السنوي في المستشفى السنة الفائتة.»

سارع دان بالاستنتاج الذي زاد من حنقه: «إذن فهي معجبة بالرجل؟»

«تعرف ماغي، يصعب معرفة أي شيء عنها.»

أجل انه يعرف ماغي ويشهد على مدى صعوبة فهمها. بدأت جيني تعدّ الطاولة بوضع المحارم الورقية وما إلى ذلك وقالت: «اتفضل تناول الطعام هنا أم في غرفة الطعام؟»

كذب دان قائلاً: «لا يهم، قرّري ما تشائين.»

«اظن بريك سيكون مرتاحاً اكثر هنا. فهو من النوع الذي يحبّذ تناول الطعام في المطبخ، ايوافقك ذلك؟»

«هذا ممتاز.» رد دان بحماس زائف وتابع: «اين ماثيو؟»

ردت جيني: «نام في وقت متأخر عن العادة على أمل ان يحسن التصرف اثناء المساء. أتمنى الا اضطر لإيقاظه فحينها سيصبح نزقاً.»

قال دان: «سأصعد للطابق العلوي وابدل ملابسي. قد اصدر الكثير من الأصوات والأرجح انه سيستيقظ بمفرده.»

بعد ان ارتدى بنطالاً كاكي اللون وبلوزة بدل حذائه بآخر خفيف ودخل غرفة ماثيو. كان الطفل لايزال نائماً، انحنى على المهد وابعد الخصلات الناعمة عن جبهة الصغير، تحرّك ماثيو وفتح عينيه ثم اغمضهما.

«آن وقت الاستيقاظ يا ماثيو.»

نهض الطفل وجلس في السرير وفرك عينيه، ثم سأل بصوت ناعس: «جدي؟»

«هذا أنا.» حمل الطفل الدافىء وقبّل رأسه قائلاً: «احبك.»

مرغ ماثيو وجهه بعنق جدّه وتمتم: «احب جدّي.»

شعر دان بغصة في حلقه. تصالحه مع غاري أهم من أي شيء آخر بحياته كلها. كيف سيتحمل ابتعاد ماثيو عنه؟ الآن بعد معرفته لأهمية هذا الطفل في حياته فهو لن يسمح لأي شيء بتفريقهما.

قال دان مبتسماً: «حسناً ايها الصغير المحتال انت مبلل وبحاجة للتغيير.»

وضع ماثيو يده على المكان المبلّل وقال ضاحك: «اوكي.»

ضحك دان ووضعه في مهده قائلاً: «اجل لا بأس بهذا.»

تناول ثياباً جافة للصغير من الخزانة وألبسه اياها بسرعة وفاعلية. كان من الصعب التصديق انه كان عاجزاً عن هذا قبل اسابيع قليلة فقط.

رفع الطفل ثانية وسأل: «بعد ان تعلمت هذا جيداً، ها هم سيبعدونك عني، هذا غير عادل، لا؟»

هز ماثيو رأسه وظل صامتاً لكنه قطب.

ضحك دان وقال: «علينا زيارة بعضنا البعض دوماً أليس كذلك؟»

طأطأ ماثيو برأسه وحمله دان للأسفل، مهما كانت نتائج لقائه وغاري فهو مصمم على عدم السماح بإقصائه عن حفيده.

لم تجر الأمور على العشاء كما يجب، كان الطعام شهياً لكن برأي دان كانت المشكلة في الرفقة، كان بريك كراعي بقر يملك متجراً ويضع الحذاء المعروف والقبعة التي لم يخلعها حتى اثناء تناول الطعام.

www.elromancia.com

اعترف دان في نفسه ان الشاب كان وسيماً بطريقة ما، ولخيبة أمله، لم ير أي وشماً ظاهراً عليه وكانت شاحنته من النوع النظيف الفاخر.

«ما هو مجال عملك؟» سأل دان من باب المحادثة لا الفضول.

رد بريك: «انني عارض ازياء. اقوم بأعمال الطباعة اغلب الاحيان. لعلك شاهدت صورتي في الاعلانات على بعض الملابس.»

«لا اظن ذلك.»

«كما وانني ممثلاً، شاركت ببعض الاعلانات التلفزيونية.»

قالت جيني: «لقد عرض على بريك دوراً في مسلسل تلفزيوني، هل ستقبل الدور يا بريك؟»

«لا يعقل تفويتي فرصة كهذه، لقد وقّعت العقد معهم وانتهيت، سأغادر إلى نيويورك بعد اسبوعين. العب دور الشرير لكن الدور صغير بعض الشيء. ولدى وكيل اعمالي الكثير من الافكار الجيدة لايجاد المزيد من الادوار لي هناك.»

قال دان: «يا للروعة.»

قالت جيني بأسف: «اتعرف، لطالما ارادت ماغي رؤية نيويورك، لكن الفنادق بالغة الثمن هناك. المدينة كبيرة وسيكون من المرعب لأمرأة وحيدة زيارتها دون وجود من يرشدها إلى الاماكن الجميلة فيها.»

سارع بريك للقول مبتسماً: «حسناً، سأكون انا هناك الآن، منزلي هو منزلها.»

طرق ماثيو ملعقته على كرسيه وكأنه يذكر الآخرين بوجوده وهتف: «حليب.»

تقلصت شهية دان لفكرة وجود ماغي ضيفة في منزل

بريك، فسارع للنهوض عن الطاولة وقال: «سأحضر له الحليب يا جيني. فقد انهيت طعامي.»

استدار بريك نحو ماثيو وقال: «هذا المشاكس الصغير يثير الجلبة هنا تماماً كما كان يفعل في منزل ماغي.»

رد دان بجفاف وهو يناول الصغير الحليب: «اسم الصغير ماثيو.»

سألت جيني بريك: «اترغب بالمزيد من اللازانيا؟»

رد بريك: «اجل، شكراً لك. هذا الطبق شهي جداً.»

مسح دان ذقن ماثيو وناوله كوب الحليب وجلس قربه ثم عد للعشرة كي يخفف من حدة امتعاضه لوجود بريك هذا امامه. لم يكن ممن يفقدون السيطرة على اعصابهم لكن المحادثة كانت تدفعه إلى ذلك. وقد أزعجه عدم ذكر ماغي له عن رغبتها بزيارة نيويورك. لقد ذهب إلى هناك عدة مرات وهو يعرف كل الاماكن الجميلة فيها. يمكنه ان يريها كل ما تريد رؤيته، هي لا تحتاج بريك ليريها ذلك أو ليشاركها مكان اقامتها.

اعتذر بريك قائلاً: «آسف يا دان فأنا لست معتاداً على الأجواء العائلية، خاصة فيما يتعلق بالاطفال، الاطفال يخيفونني اقصد انهم لا يتكلمون أو يفعلون شيئاً.» التهم قضمة من اللازانيا متابعاً: «لا امانع بفكرة وجود امرأة قربي للاهتمام بحاجياتي لكن لا وقت لدي اطلاقاً الآن للأطفال. يجب وضع عملي في المرتبة الأولى.»

رد دان: «انا واثق من ذلك.»

«احياناً اظن هذا هو السبب لعدم تطور علاقتي مع ماغي.»

منح اعتراف الشاب دان راحة لم يكن يتوقعها. وحين

www.elromancia.com

لاحظ ان بريك يرغب بتناول المزيد من اللازانيا وضع الصينية على المجلى وقال: «لم لا تلفي ما تبقى من اللازانيا كي يأخذها بريك معه إلى منزله يا جيني؟»

ردت جيني: «هذه فكرة جيدة، سأحضر الحلوى الآن، لقد صنعت كعكة الشوكولاتة الالمانية.»

قال بريك مبتسماً: «احب الشوكولاتة الالمانية. من المؤسف انك متزوجة يا جيني والا لكنت اختطفتك على الفور.»

قال دان: «دون ذكر الطفل. لِمَ لا نرسل قطعة من الكعكة معك للمنزل أيضاً؟ بتلك الحالة يمكنك تناولها بسلام. فيبدو ان ماثيو على وشك الانخراط بإحدى ثورات غضبه النزقة.»

نظر بريك إلى ماثيو وسأل بدهشة: «كيف تعرف ذلك يا دان؟»

رد دان: «من النظرة في عينيه.»

قال بريك: «كنت اخطّط للبقاء لحين عودة ماغي، فأنا لم أرها مؤخراً و...»

كأن ماثيو قرأ افكار دان، فقد رمى كوب الحليب على الأرض وبدأ يصرخ ويقول: «حليب.»

ناول دان الطفل ملعقة مدركاً ما سيحدث، رماها ماثيو على الأرض هي ايضاً واشار إلى الكوب صائحاً: «حليب، حليب.»

نظر بريك إلى ساعته وقال: «حسناً، تأخر الوقت. لربما من الافضل لي المغادرة.»

لفت له جيني الطعام بسرعة وهي تبتسم ابتسامة تفهمها وحدها. ثم ناولت الكيس لضيفهم وقالت: «نراك يوم السبت يا بريك.»

ردّ دان وهو يرافق بريك إلى باب الخروج: «لا، لن نراك.

فقد قررنا نقل الأغراض على يد اختصاصيين، فسنحتاج لقوانا نحن الثلاثة كي نهدىء من روع ماثيو ولا نرغب بأخذ أي دقيقة من وقتك، عليك التفكير بعملك. فالرجل الذي يوشك على الانتقال إلى نيويورك لدخول معترك النجومية لا وقت لديه لمساعدة الناس بالانتقال، صحيح؟»

تمتم بريك: «حسناً، كان من المفرح رؤية ماغي ثانية لكني فهمت قصدك.»

ألقى بريك نظرة سريعة على ماثيو الذي يصرخ بضجيج وغادر المنزل بينما أمِلَ دان أن يكون قد غادر حياة ماغي للأبد.

بعودة دان إلى المطبخ وجد ماثيو قد توقف عن النحيب بل واخذ يبتسم له بحب.

داعب دان شعر الصغير وقال بمرح: «احسنت صنعاً.»

كان دان واثقاً ان هذه آخر مرة سيرون بها وجه بريك واشعره هذا بالسعادة فأخذ يصفر بمرح وهو يساعد جيني بتنظيف الاطباق.

بعد صعود جيني وماثيو للنوم جلس دان في غرفة الجلوس يشاهد الاخبار بانتظار عودة ماغي، وكان مصمماً وخاصة بعد زيارة بريك على معرفة مشاعرها نحوه.

خلال التقرير الرياضي استرخى دان على الكنبة وغرق في النوم ولم يستيقظ الا بعد وصول ماغي وخلودها للنوم بفترة طويلة، تنهد بحرقة وصعد إلى غرفته وهو يشعر بألم ما يسمى بالفرصة الضائعة.

الفصل العاشر

عاد منزل دان يخيم عليه الهدوء والصمت ثانية بعد مغادرة جيني، ماثيو وماغي، احياناً كان يسير من غرفة لأخرى مستعيداً الذكريات السعيدة. ولم يكن يمر مرة في البهو دون تذكر يوم وصول الغرباء الثلاثة لأول مرة إلى منزله، كان يتذكر صدمته وذهوله لاكتشافه انه جدّ، اما الآن فهو لا يتذكر الوقت حين لم يكن لهذا الدور معنى في حياته.

اما المطبخ فكان فارغاً دون رائحة الطعام الشهية وثرثرة المرأتين اثناء تحضير الوجبات. الآن اضحى المطبخ مجرد غرفة يتناول فيها الأطعمة الجاهزة التي يحضرها معه حين لا يتناول الطعام في المطاعم. انه لم يعد يحب تناول الطعام وحده.

من المذهل كيف تبدلت حياته في هذه الفترة القصيرة. اسابيع قليلة جعلت منه رجلاً آخر. لم يعد يعتقد ان عمله هو كل حياته، فقد علمته عائلته التي لم يتوقع حضورها ذلك. كما انها علمته انه حين تحب وتجد من يحبك تكون عرفت الفرق بين الحياة والوجود.

عرف دان ان عليه القيام بشيء ما حيال هذا الوضع لذا فقد اتصل بماغي يطلب موعداً للقائها. لم يكن متأكداً من ردة فعلها، لكن كان عليه القيام بذلك فهو لم يعد قادراً على فراقها لأكثر من هذا.

قال لها عبر سماعة الهاتف: «حفل شركتنا للعيد يوم الجمعة المقبل، سأتشرف بقبولك دعوتي لتكوني رفيقتي.»

ابتسمت ماغي للجدية في صوته وردت: «يشرفني قبول دعوتك.»

تنهد دان بارتياح وقال: «انه حفل عشاء راقص وطلبت مني كارول اخبارك ان اللباس رسمي.»

تساءلت ماغي سواء اكان دان وكارول يتحدثان عنها دوماً وقالت: «اين مكان الحفل؟»

قهقه دان قائلاً: «لا اعرف، نسيت ان اسأل كارول عن ذلك. هي من اهتم بكل الترتيبات وانا كان عليّ توقيع الشيك فقط، سأستعلم عن المكان واعلمك به.»

لم تكن ماغي مهتمة بمكان الحفل، جل ما كان يهمها هو انها ستكون برفقة دان، فأيامها بعد مغادرتهم منزله اصبحت وحيدة وموحشة وكانت تأمل ان مرور الوقت سيغيّر من شعورها نحوه ويخفف من شوقها اليه، لكن ذلك لم يحدث.

سألت: «في أي وقت تريدني ان اكون جاهزة؟»

اجاب: «الحفل في الساعة الثامنة لكني سأمر بك في السابعة كي يتنسى لنا الوقت لاحتساء كوب من العصير.»

ردت ماغي: «هذا جيد.»

في الواقع كان هذا ممتازاً وليس جيداً فقط بالنسبة اليها. فهي لم تتوقع اشتياقها الهائل هذا لرؤية دان، كانت تأمل ان يساعدها عملها على ملىء فراغ ابتعادها عنه لكن هذا لم يتحقق.

حين كانت تعود حالياً من دوام متعب وحزين، لم تكن تجد دان لتخبره بما جرى. افراح واتراح عملها لم تعد ذات معنى دون ان تشاركها مع دان.

حل اخيراً يوم الجمعة ووصل دان إلى منزلها في السابعة

تماماً، ابتلع ريقه بصعوبة حين فتحت له الباب، كانت ترتدي ثوباً اسود طويل، وكان للفستان فتحة طويلة جانبية، كانت قد جمعت شعرها الأحمر المجعد إلى طرف واحد فانسدلت خصلاته على جانب عنقها بدلال وإغواء فيما تدلى من اذنيها قرطين من الماس ويتناسب تماماً مع كلاسيكية وجمال مظهرها الرائع.

ظل دان صامتاً فخشيت ماغي ان يكون مظهرها غير لائق.

رأى دان الترقب على وجه ماغي فقال برقة: «تبدين رائعة، سأكون محط حسد كل رجل الليلة.»

«شكراً.» ردت ماغي وهي تتساءل عن سبب شعورها بالخجل المفاجيء امامه. لربما لأنها بشوق كبير إليه.

قالت بصوت عذب: «انت بالغ الجاذبية بدورك.»

قهقه قائلاً: «ارتديت البذلة السوداء الرسمية كي افتنك، لكن الذي حصل هو العكس، فأنا هو من افتتن.»

قالت له وهي تنظر اليه بإعجاب: «اعتبرني مفتونة. فقد بدوت رائعاً ببذلتك السوداء الفاخرة.»

«احضرت لك شيئاً.» قال وهو يفتح علبة بين يديه ليظهر الدبوس الماسي الرائع داخلها وتابع: «لكن لا فكرة لدي اطلاقاً عن مكان وضعه على ثوبك.»

شهقت ماغي وقالت: «آه يا دان لا استطيع قبول هكذا هدية ثمينة.»

ضحك دان وهو يناولها الدبوس قائلاً: «لا تخافي انه ليس من الماس الخالص مع انني كنت لأجلبه كذلك لو وجدت.»

اخذت الدبوس وقالت: «شكراً ارغب بوضعه على الصدر.

اتعرف حين اشتريت هذا الثوب لم ادرك افتقاره لأي زينة.»

«ماذا لو تضعينه أعلى فتحة الساق؟» وضعته ماغي هناك واستدارت قائلة: «ما رأيك؟»

«رائع. ليس الدبوس فقط، بل كل شيء هذه الليلة، انت على الأخص.» قال ذلك وقد جعله هذا الاعتراف غير المتوقع يشعر بالتوتر. فكل شيء يأخذ منحى خاصاً بوجود ماغي معه. ما الشيء المميز في ماغي الذي يقلص قدرته على الكلام ويجعله ينطق بكلمات متلعثمة؟ ما السر الذي يجعلها قادرة على دفعه للشعور بأحاسيس لم يشعر بها من قبل؟

«جدّي.» تمتم ماثيو وهو يرفع ذراعيه اليه. وهرعت جيني من غرفة الجلوس حاملة كاميرا بين يديها.

«ليس بعد يا ماثيو دعنا نلتقط صورة أولاً.» قالت جيني ذلك وهي ترفع الكاميرا وماثيو يقترب منها وتابعت: «حسناً اقتربا من بعضكما وامنحاني ابتسامة كبيرة.»

ترددت ماغي قليلاً وقالت: «لسنا ذاهبين إلى حفل الثانوية الراقص يا جيني.»

ردت جيني: «اعرف، لكنكما تبدوان رائعين ولا استطيع مقاومة رغبتي بالتقاط صورة لكما، هذه صورة لأجل الألبوم العائلي. والآن ابتسما.»

وضع دان ذراعه حول خصر ماغي وقرّبها منه قائلاً: «الأفضل لنا تحقيق رغبتها والا فلن يتسنى لنا الوقت للذهاب إلى حفل العشاء.»

بعد التقاط العديد من الصور وبعد تقبيل ماثيو وتدليله من قبل ماغ وجدّه، كانت الساعة قد تجاوزت الثامنة. وهكذا لم يستطع دان وماغي الذهاب لاحتساء العصير، ووصلا

متأخرين إلى قاعة الفندق الفخم وسط البلدة. طمأنها دان بقوله ان التوقيت مناسب تماماً.

نظرت ماغي إلى الثريات الفاخرة البراقة والسجاد الثمين. كان هذا الفندق معروفاً بمطعمه الشهي وخدمته الممتازة. من الواضح ان شركة لوكاس ترغب بالبقاء دوماً في الدرجة الأولى، فكرت ماغي ففي المستشفى يقيمون حفلات الاعياد في المقصف الذي يزينونه ويرتبونه بانفسهم.

رافقها دان إلى قاعة الطعام الضخمة حيث يتواجد موظفي شركة لوكاس للمشاركة ببهجة الاعياد القادمة.

استقبلهما المسؤول ببذلته الحمراء، وكان على الطرف الآخر ساحة الرقص الواسعة بمنصتها الدائرية المرتفعة عن الأرض والتي يجلس عند آخرها الموسيقيين. كانت الطاولات الدائرية منتشرة في القاعة ومعظمها يشغلها العديد ممن قابلتهم في الشركة يوم زارت دان في مكتبه.

قالت ماغي: «الديكور رائع، حين تقيم حفلة، تعدّها على الأصول فعلاً.»

ردّ دان مبتسماً: «كارول سعيدة جداً بتصرفها بحرية بمال الشركة. تقول نظراً لأنني لا ادفع المبالغ الكافية للموظفين فأقل ما يمكنني فعله هو البذخ في ليلة واحدة في السنة. ها هي المبذرة بطريقها الينا.»

شقت كارول طريقها نحوهما، وكان جسدها الصغير جذاباً برداء الشيفون الأبيض. كانت متقدمة بالسن لدرجة تكاد تجعلها والدة لدان لكنها كانت تتمتع بشخصية المراهقة المرحة الشابة.

قالت كارول: «آن وقت ظهورك يا سيد لوكاس. وأرى انك

احضرت الخالة ماغي معك.» واستدارت نحو ماغي متابعة: «تسرني رؤيتك ثانية يا عزيزتي.»

«يسرني التواجد هنا، اخبرني دان انك المسؤولة عن كل هذا. لقد انجزت عملاً رائعاً.»

ابتسم دان لمرور نادل يحمل صينية تحمل الكافيار والقريدس وقال: «اجل، انه عمل رائع.»

ضحكت كارول وقالت: «اعرف ذلك، أترغب برؤية الفاتورة حين تصل؟»

رد دان: «وهل سيتحمل قلبي ذلك؟»

«ربما ان تابعت كشوفاتك القلبية الطبية بين الحين والآخر. احتفظنا بمكانين لكما إلى طاولتنا، لكن عليكما أولاً الاختلاط مع الباقين.»

فيما استدارت كارول مبتعدة ناداها دان قائلاً: «السنة القادمة لم لا نختار قاعة بوب كلوسال كموقع محتمل لهذا الحفل؟»

ابتسمت كارول بخبث وقالت: «بإمكاننا فعل ذلك. حين تطير الأفيال.»

قالت ماغي: «احب كارول.»

«الجميع يحبها، انها تعمل معي منذ فترة طويلة، هي تعرف ما أريد وما احتاج إليه قبل ان أتفوّه بذلك.»

«انت محظوظ لوجودها معك.»

«اعرف. لكن ارجوك لا تخبريها بقولي هذا، فهي منذ الآن تتصرف على هذا النحو.»

ابتسمت ماغي وقالت له: «احياناً حين يكون لديك شخصاً يهمك أمره، من الحكمة اطلاعه على ذلك. وإلا فقد يشعر

الشخص هذا انه غير مهم لديك فيتابع حياته وهو يجهل شعورك الصادق نحوه.»

قبل ان يتمكن دان من الرد اقترب أحد الشركاء منهما مانعا إياه من التفكير بالمعنى المزدوج لكلمات ماغي.

احضر العشاء اللذيذ بعد وقت قصير، وكان على طاولة كارول زوجها بول، وشريك مبتدىء آخر وزوجته وشريك آخر وصديقته. كان الحديث ممتعاً وكانت مشاركة ماغي واثقة بالمواضيع السياسية والشؤون العامة.

أخيراً فتح موضوع التطبيق الطبي السيء واستطاعت ماغي مساعدة المحامين بتفهم جانب العناية الصحية بشكل افضل.

لم يشترك دان في النقاش وفضل الاصغاء ومراقبة ماغي والانطباع الممتاز الذي تتركه على الآخرين بمعرفتها بأحدث الابحاث الطبية، فهي لم تكن جميلة فقط بل ذكية ومحدثة لبقة أيضاً، وتمّ تذكيره مجدداً بسر إعجابه بها.

رغم استمتاعه بحديثها المشوق الا انه فرح ببدء الموسيقى كي يتمكن من مراقصتها. كانت الموسيقى هادئة وحالمة تمايلا بخفة مع الموسيقى وذراعيه حول خصرها وذراعيها حول عنقه.

لم يكن للكلمات أي معنى وهما يرقصان بانسجام معاً وكأنهما وحدهما في القاعة التي تغص بالمدعوين. ومرّ الوقت دون ان يشعرا به.

حين اخفض دان رأسه وقبلها بخفة استرخت ماغي بين ذراعيه.

«ايها الرئيس.» نادت كارول بعد وقت طويل وهي تمرّ

وزوجها قربهما بطريق عودتهما إلى الطاولة وتابعت: «اكره ان اكون ناقلة اخبار سيئة، لكن الحفلة انتهت. والفرقة الموسيقية تجمع آلاتها.»

ظل دان ممسكاً بماغي وهما يتمايلان على انغام موسيقى وهمية وقال: «بتلك الحالة اعلن رسمياً انتهاء الحفل.» قادها دان إلى الطاولة ثم نظر إلى ساعته وقال: «لازالت الساعة الثانية عشرة فقط، على السهرة ان تبدأ الآن.»

ردت ماغي: «عليّ العودة إلى المنزل، فسأعمل دوام اضافي غداً.»

سألتها كارول: «وهل هناك نقص في عدد الممرضات في المستشفى.»

هزت ماغي رأسها وقالت: «انه الثمن المفروض عليّ دفعه مقابل أخذي لعطلة اليوم.»

«إذن فالأفضل لي اعادتك إلى المنزل كي تنامي.» ودع دان اصدقاءه وموظفيه كما وحذرهم من غياب احد يوم الاثنين.

قادها دان إلى الخارج ويده حول خصرها وسمع احد شركائه يقول: «لا اعرف اين كانت غائبة طيلة حياته، لكني اظن صديقنا دان قد وجد نده اخيراً.»

ابتسم وادرك انه مع نهاية الاسبوع ستنتشر الاقاويل في المكتب حول المدة المتوقعة لسقوط لوكاس في فخ الزواج.

الفصل الحادي عشر

حين اتصل دان بماغي يوم الأحد ردّت جيني على الهاتف.

فسألها: «كيف حالك وماثيو؟»

ردت: «بخير، وماغي بخير أيضاً، لقد احضرت الصور البارحة، انتظر حتى تراها.»

«احضرتها بهذه السرعة؟»

«اسرفت قليلاً ونسختها في ستوديو في ظرف ساعة.»

«هل ماغي موجودة؟

«اجل ماغي هنا، انتظر لحظة.»

انتظر ما كان وقتاً طويلاً بالنسبة اليه قبل ان يأتيه صوت ماغي العذب من الطرف الآخر ويقول: «مرحباً يا دان.»

«هل انت متعبة؟»

«لا، لكني اعترف انني استغرقت بالنوم هذا الصباح واشعر بالكسل منذ استيقاظي.»

«فكرت بك عدة مرات البارحة وتساءلت عما حلّ بك بالعمل بدوامين متتاليين.»

«تدبرت الأمر، لكن ماذا عنك؟»

«نمت في ساعة متأخرة من الليل.» اخبرها بذلك لكنه لم يذكر لها كم احتاج من ساعات وساعات كي يتمكن من النوم بعد ان اوصلها إلى منزلها. وقف هناك غير راغب بالمغادرة وغير قادر على دعوة نفسه إلى الداخل. في

النهاية قبلها قبل ان يعود إلى منزله وينام في سريره البارد.

تابع دان قائلاً: «انجزت بعض الأعمال المكتبية.»

ردت ماغي: «إذن فقد قضيت اليوم بالعمل؟»

«تقريباً، هل لديك عطلة اليوم؟»

«اجل.»

«ما رأيك بالخروج لتناول العشاء؟ اخبرتني كارول عن مطعم جميل تتناول وبول فيه العشاء دوماً، قالت ان الطعام جيد وان الفرقة الموسيقية هناك رائعة.»

«يبدو هذا رائعاً يا دان لكن ماثيو لا يحبذ المطاعم والفرق الموسيقية، وعدت بالبقاء قربه. فحفل جيني في العمل هذه الليلة.»

«ليلة الأحد؟»

«تأخروا اكثيراً لحجز المكان ولم يجدوا مكاناً شاغراً الا ليلة الأحد.»

«فهمت. لكني لا امانع بإخبارك ان ظني خاب.»

«وانا ايضاً.» ردت ماغي برقة وتابعت: «اترغب بالمجيء والمساعدة بمجالسة ماثيو؟ بإمكاني دوماً الاستعانة بيد أخرى للعناية بالمشاكس الصغير.»

ضحك دان وقال: «ظننتك لن تطلبي هذا ابداً، لا تتناولي العشاء سنطلب البيتزا.»

قالت ماغي بإغاظة: «لا مطالب مقابل الدفع؟»

«ماذا عن طلب اضافي؟»

«سأفكر بالأمر.»

فرّد دان: «اجل افعلي. فأنا لم افكر الا بذلك خلال الاسابيع القليلة الماضية.»

ضحكت وسرّها اعترافه بذلك وقالت: «تعال بأي وقت وسنكون هنا.»

حين رنّ جرس الباب في السادسة والنصف مساء، ادركت ماغي ان الطارق دان، مضى على لقائهما الأخير يومين فقط لكنها تشعر انها ابتعدت عنه مدة سنة.

امسك يدها بين يديه وقال: «مرحبا يا ماغي.»

ردت مبتسمة: «اهلاً دان تفضل بالدخول.»

«هل هذا صوت الجدّ؟» صاحت جيني وهي تدخل وماثيو الغرفة.

تحرّك ماثيو بحماس بين ذراعي والدته وصاح: «جدّي، جدّي.»

حيا دان جيني متناولاً الصغير المتحمس من بين ذراعيها ومعانقاً إياه بحنان.

وقفت جيني على رؤوس اصابعها وطبعت قبلة على خد دان قائلة: «تسرني رؤيتك. واظنني اتكلم نيابة عن الجميع حين اقول اننا اشتقنا كثيراً لك.»

صاح ماثيو بسعادة: «لعبة، لعبة.»

ضحك دان وقال لحفيده: «شعورنا متبادل يا صديقي الصغير، اتعرف انني لم أقرأ أي قصة ولم العب بأي شاحنة منذ مغادرتك للمنزل؟»

صفق ماثيو صائحاً: «لعبة، لعبة.»

وضع دان ماثيو أرضاً وخلع معطفه فيما زحف ماثيو سريعاً إلى صندوق الألعاب في الزاوية وتناول شاحنة الاطفاء التي اشتراها له دان وقال: «شاحنة.»

قبلت جيني صغيرها قبل ان تغادر وقالت: «قرّر رئيس

العمل اصطحابنا بعد العشاء، بما اننا فتيات فقط، إلى مشاهدة فيلم سينمائي ومن ثم إلى تناول العشاء الخفيف في مقصف جديد قرب السينما، لذا الأرجح انني سأعود في ساعة متأخرة جداً، أي ليس قبل الثانية عشرة أو الواحدة.»

دفعتها ماغي للخارج بعد ان رأت غمزتها الخبيثة وقبل ان يراها دان قائلة: «اذهبي واستمتعي بوقتك، لا تقلقي بشأننا.»

ابتسمت جيني بخبث مجدداً وقالت: «آه، لن اقلق عليكم فأنا واثقة انكم بين أيد أمينة.»

لعب ماثيو دان وماغي بالشاحنة قليلاً ثم علّقوا قطع سكة القطار البلاستيكي ببعضها ولعبوا به إلى ان فقد ماثيو اهتمامه بالقطار والعربات، ليتناول القرد من الصندوق متمتماً: «بايبي.»

ثم ركع ماثيو على ركبتيه واخذ يهرش صدره ويقلد حركات دان المقلدة للقرود في متجر الألعاب.

انفجر الاثنان بالضحك مما شجع ماثيو على تكرار حركاته ولكن بضجيج وحماس اكبر هذه المرة.

هزت ماغي رأسها وقالت: «بفضلك يعتقد ماثيو الآن ان كل الاطفال تتصرف كالقرود.»

ردّ دان: «هذا الطفل يتصرف مثلها دون أي شك.» واخذ يدغدغ حفيده متابعاً: «تعال هنا ايها القرد الصغير.»

قهقه ماثيو بشدة وحين توقف دان طالب الصغير بالمزيد.

قال دان، وهو يدغدغ الطفل بذقنه: «هذه الضحكات هي أعذب صوت سمعته في حياتي. بمثل هذه الاوقات أدرك

عمق اشتياقي لغاري. فانا لم استطع سماعه يقهقه ويضحك هكذا حين كان بسن ماثيو.»

قالت ماغي بصدق: «اتمنى ان يكون كل شيء على ما يرام بينكما.»

«وأنا اتمنى ذلك أيضاً، سأبذل كل ما بوسعي لجعل غاري يتفهم الظروف التي حدثت بالماضي. ادرك الآن عدم وجود أي عذر لتصرفاتي تلك. كان علي القتال بقوة اكبر لأجله، لكنه لم يكن حقيقياً بالنسبة لي في ذلك الوقت، كان ابني أجل، لكنه لم يكن حقيقياً كما هو ماثيو الآن.»

اشارت ماغي قائلة: «الوالد ليس بالاسم فقط، بل الوالد هو من يصرف الوقت بالعناية، الاهتمام وبغمر ابنائه بالحب كي يشعر فعلاً بالأبوة.»

منذ دخول ماثيو في حياته، تعاظم شعور دان بالذنب وهذا الذنب هو الذي غيّر نبرة صوته عندما اخبر ماغي قائلاً: «ما كان يجدر بي ان ادير ظهري لغاري... لن اسامح نفسي ابداً على ذلك.»

امسكت ماغي بيده وقالت: «لنأمل ان يسامح غاري.»

انسل ماثيو من عناق دان وبدأ بتركيب المكعبات. دون وعي، صحّح دان من وضع البرج الذي اخذ ماثيو يركبه.

لاحظت ماغي قائلة: «انت جيد جداً مع ماثيو. هل فكرت يوماً بإنجاب المزيد من الاطفال؟»

رد دان: «حين ادركت انني لن اكون جزءاً من حياة غاري اقفلت الموضوع تماماً، مؤخراً اخذت افكر بهذا الموضوع مراراً، لكن... هناك نقطة واحدة تقضي مضجعي بهذا الشأن.»

«وما هي؟»

«ماذا لو لم اخلق لأكون والداً؟ فبعد كل شيء ابني نفسه يكرهني.»

«غاري لا يكرهك، بل يكره الصورة التي كوّنها عنك، حتى انه لا يعرفك، هو لا يعرف ابداً انك رجل محب وعاطفي. فالفرصة لم تتح له اطلاقاً لاكتشاف ذلك، لذا اجتماعكما معاً بالغ الأهمية. هذه ستكون بداية جديدة لكما معاً.»

«وهذا ما يخيفني بشدة، فهي لن تكون بداية حقيقية الا حين تتم معالجة كل المرارة وكل الامتعاض القديم.»

ردّت ماغي: «علاقات الآباء والابناء لم تكن سهلة يوماً، ولا حتى في العائلات التي لم تنفصل عن بعضها.»

«اظنني اشعر بعدم الأمان نظراً لعدم وجود خبرة لدي بهذا المجال ضمن عائلتي.»

«هل حاولت يوماً ووالدك المصالحة؟»

ردّ دان: «لا، في البداية كنا مقربين من بعضنا، أو هذا ما اعتقدته بدوري على الأقل لحين يوم رحيله. لم أره منذ ذلك الحين. حتى انني لا اعرف سواء اكان حياً أم ميتاً.»

سألته ماغي برقة: «وبم يشعرك ذلك؟»

«بالسوء الرهيب، فقد علمتني انت وجيني وماثيو اهمية العائلة.»

«هل حاولت مرة ايجاده؟»

«لا، كنت اشعر بالألم الشديد والغضب بالبداية لدرجة انني لم ارغب بمحادثته، واصبح نسيانه اسهل مع مرور السنوات.»

«إذن تركت امتعاضك يمنعك من الاستماع اليه؟ من الاصغاء إلى وجهة نظره من القصة؟»

نظر دان اليها بتفكير وقال: «اظن ذلك.»

«كما فعل غاري؟»

«أجل.»

فكر دان بكلماتها. كان مصمماً على تسوية الأمور مع ابنه. حتى ولو نجح بذلك، فسيظل هناك عملاً غير منجز في حياته. لربما لن يعرف شعور الأبوة حقاً الا بجلوسه وتحدثه مع والده هو، ان لم يكن قد فات الأوان على ذلك.

قالت ماغي: «لربما عليك محاولة تحديد مكانه، لديك فرصة أخرى مع غاري، الا تظن انك تدين لوالدك أيضاً بهذا؟»

«الأمر مختلف، فقد اختار جوني لوكاس بملىء ارادته هجر عائلته اما انا فلا.»

قالت ماغي: «لربما عليك تسوية أمور ماضيك قبل ان تتوقع من غاري تسوية أمور ماضيه.»

«لا استطيع مواجهة والدي فيما لا فكرة لدي اطلاقاً عن مكانه.»

«اخبرتني ان لديك تحريين خاصين ضمن موظفيك. وسأتفاجأ ان لم يستطيعوا تحديد مكان والدك.»

قال دان: «فكرت بهذا مرتين أو ثلاث، لمدة دقائق معدودة فقط، والدي كان مغامراً، لعله يعيش في حي فقير الآن أو لعله أضحى تراباً منذ فترة طويلة.»

هزت ماغي رأسها وقالت: «غاري يشبهك كثيراً.»

«وهل هذا جيد أم سيء؟»

«كلاكما يفضل العيش مع المجهول على مواجهة الحقيقة، على الأقل تمكنت جيني من دفعه للقائك، آن الوقت لك للتوقف عن لوم نفسك. ارتكبت غلطة، نعم، لكننا جميعاً معرضون لارتكاب الأخطاء، لا ترتكب غلطة أخرى فيما يتعلق بوالدك.»

فكر دان بكلماتها لبضع لحظات ثم اعترف انها على حق وقال: «كنت الوم نفسي فعلاً.»

«اظنك كنت تفعل ذلك منذ كنت في السادسة عشر.»

امسك دان بيدها وقال: «انت بارعة جداً في الاستشارة لربما عليك العمل بهذا المجال بدوام كامل، بعد جلسة دامت لعشرين دقيقة فقط، اشعر انني اكثر استعداداً وقدرة لتسوية الأمور مع غاري عما كنته سابقاً.»

سألته على الفور: «وماذا عن والدك؟»

«عليّ التفكير بذلك.»

كان ماثيو يلعب بهدوء قربهما وشعر بالملل من ذلك، اسقط الشكل الذي بناه من المكعبات وصاح: «طعام، طعام.»

ضحكت ماغي وهي تنهض حاملة الطفل معها وقالت: «اتصل واطلب البيتزا وسأطعم انا هذا الوحش الصغير.»

طلب دان البيتزا ثم جلس إلى الطاولة يراقبها وهي تطعم ماثيو وسأل: «انه ينمو، اليس كذلك؟»

«اجل، هذا الثوب كان طويلاً عليه قبل اسابيع قليلة فقط واليوم هو بالكاد على مقاسه.»

هز دان رأسه وقال: «انا مسرور لعدم تمكنك من اقناع جيني بالعدول عن خطّطها ذاك اليوم، لو فعلت لما تمكنت من رؤية حفيدي، ابداً، ولما تمكنت من رؤيتك.»

«اظن من الجيد ان سعادة جيني تعني الكثير لي.»

«وهل يجب ان يكون ذلك دوماً على حساب سعادتك؟»

سألها دان وهو يتساءل عن مدى تقبلها للابتعاد عن شقيقتها، فبحال لم تنجح أموره مع غاري فإلى أي جانب ستقف ماغي؟ علماً منه بعمق التقارب بين الشقيقتين، هل يتجرأ على طلب مثل هذا منها؟

قالت ماغي وهي مندهشة لسؤاله: «انا سعيدة. احيا حياة مليئة ولدي عمل مثمر كما اقوم بما أرغب به. ولدي جيني وماثيو.»

«لكن لديهما غاري، وحين يعود إلى المنزل لن تلعبي هذا الدور الكبير في حياتهما.»

«هكذا دوماً العائلة، سابقى مهمة لهم وسيكونون دوماً مهمين لي، سيتغير الوضع قليلاً لكني اتقبل ذلك، لا انكر انني سأشتاق اليهم، خاصة امامك لانك تعرف مقدار غيرتي منك حين اتينا لأول مرة للإقامة في منزلك.»

فقال: «لا استطيع فهم ذلك ابداً.»

«لربما لانني اضطررت لمشاركة حبهم مع غاري ولم أرغب بإضافة شخص آخر للقائمة.»

«اهذا هو السبب الذي دفعك لإبعادي عنك في البداية؟»

اعترفت ماغي قائلة: «كان ذلك احد الأسباب.»

«اعطني سبباً آخر.»

تردّدت وحاولت انتقاء كلماتها كي لا تبوح له بالكثير، لكنها لجأت لخيراً إلى الصدق وقالت: «شعرت بالإنجذاب نحوك ولم أرد ان اكون كذلك.»

«أنا انجذبت اليك بدوري.»

ابتسمت ماغي وقالت: «اظننا اتفقنا على أمر في النهاية.»

اعترف قائلاً: «يمكنك القول انني انجذبت بشدة.»

«أجل، لاحظت ذلك على الفور.»

«إذن، ماذا كان هناك؟»

نظرت بعيداً، الصدق يجعل الاعتراف اصعب.

قالت: «شعرت بالخوف منك.»

رفع حاجبيه وقال: «اواثقة انك لم تكوني فعلياً خائفة من نفسك؟»

«حسناً، اجل، لعلّ هذا ما حدث، لكني لم أرد تبديل حياتي وادركت على الفور انك قادر على تبديلها، اقنعت نفسي انني راضية وقانعة بالأوضاع التي تسير عليها حياتي وامتعضت لمعرفتي بنقاط النقص الكثيرة في حياتي، كرهت ذلك وامتعضت جداً منه.»

قهقه دان ثم استغرق بالضحك.

قطبت ماغي منزعجة من ردة فعله: «ما المضحك؟»

قال: «شعرت بنفس شعورك بالضبط، لا عجب اننا استغرقنا وقتاً طويلاً كي نتفاهم ونتأقلم معاً. فنحن لم نكن صريحين وصادقين مع بعضنا بالتعبير عن مشاعرنا، تباً، كلانا كان ينكر حقيقة وجود مشاعر تربطنا معاً أصلاً.»

اتكأت ماغي إلى الطاولة ووضعت ذقنها بين يديها: «الآن بعد ان تصارحنا فماذا سنفعل حيال ذلك؟»

اقترب منها ليقبلها وشعر بقلبه ينتفض بداخله وقال: «لدي بعض الأفكار.»

رنّ جرس الباب ورمى ماثيو كوبه على الأرض إشارة على اكتفائه.

www.elromancia.com

قال دان: «تجعلينني مجنوناً، فأنا اسمع صوت أجراس.»

ابتسمت وقالت: «وهناك طفلاً يريد جذب انتباهنا.»

سألها: «سنتابع من حيث توقفنا؟»

«ليس على الفور.»

«حسناً، سأحضر البيتزا، وانت اهتمي بالطفل.»

نهض بتردّد واضح وتابع: «سيخلد ماثيو للنوم قريباً أليس كذلك؟»

نظرت ماغي إلى ساعتها وقالت: «في ظرف ساعة.»

«وافيني إلى الكنبة بعد ساعة.»

طأطأت برأسها وقالت: «هذا موعد.»

لكن ماثيو لم ينم قبل ساعتين في الغرفة المجاورة فيما جلست هي قرب دان على الكنبة، شجعها الحديث الصريح الذي سبق بينهما وقررت سؤاله عن مخططاته المستقبلية لتعرف سواء اكانت هي ضمن هذه المخططات.

هي تحب دان وترغب بالبقاء معه في دالاس لكن عُرض عليها العمل في مدينة اوكلاهوما وعليها التوصل إلى قرار بهذا الشأن، ان كان لا يحبها فعليها معرفة ذلك كي تتابع حياتها بطريقة أو بأخرى.

سألته بصراحة: «ماذا أعني لك يا دان؟» رغم مفاجأته بهذا السؤال المباشر، كان واثقاً من مشاعره نحوها لذا فقد أجاب بنبرة اكيدة: «اهتم كثيراً لأمرك يا ماغي ولعلك المرأة التي كنت انتظرها طيلة حياتي.»

«لكن؟»

اخبرها بصدق: «حياتي ليست مستقرة حالياً، أجهل ما سيكون عليه لقائي مع غاري، لا افهم مشاعري نحو والدي،

كما سبق وأشرت لا استطيع التفكير بوضوح بالمستقبل الا بعد إزالة الغمامة عن الماضي.»

قالت بنبرة مجروحة: «نا لا اعرف ابداً متى احفظ فمي مغلقاً، يبدو ذلك جميلاً بالتعابير النفسية لكن ماذا يعني ذلك بالضبط لك ولي؟»

قال بحذر: «اظن ذلك يعني منحي بعض الوقت.»

«وقت؟ هلا حدّدت الكلمة لي؟ انتحدث عن فترة بسيطة؟ عن شهر كامل؟ عن عمر كامل؟»

لم يعجبه استهزائها، وما بدا الحديث ناعم تحوّل بلحظة إلى معركة كلامية.

نظر دان اليها وقال بهدوء: «اوضحت وجهة نظرك يا ماغي، لماذا تفعلين هذا؟ الا يمكنك الصبر قليلاً؟ قبل اقل من شهر ما كنت لتمنحيني ساعات من وقتك، الآن وفجأة تريدين وضع حياتي في جدول حياتك، اعذريني، لكن هذا يصعب فهمه.»

«يا لي من مخلوقة غير منطقية.» قالت وهي تبتعد عنه، كان عليها إخفاء خيبة أملها لذا فقد غطت ذلك بالغضب الحقيقي. ان لم يكن دان مستعداً للارتباط بعد، فعليها تقبل ذلك، لكن ما لن تفعله هو الجلوس ويدها على خدها بانتظار جهوزية دان.

كان انسحابها واضحاً وسارع دان لرأب هذا الصدع بينهما قبل ان يتسع وقال: «وصلنا إلى النقطة التي بإمكاننا التحدث فيها، انا شخصياً أرغب بالتمتع بذلك لبعض الوقت. الا يمكن إبقاء الأمور على حالها حالياً على الأقل؟»

رغم محاولاتها لتهدىء من صوتها الا انه كان مرتفعاً قليلاً وهي تقول: «وكيف هي الأمور حالياً يا دان؟»

قال: «لقد اقتربنا من بعضنا وكنت آمل ان نقترب اكثر. لم احظ بعلاقة طويلة الأمد مع أي امرأة من قبل ولكن شعوري نحوك مختلف تماماً.»

«إذن انت لا ترغب ببقاء الأوضاع بيننا على حالها، أليس كذلك؟»

رد قائلاً: «كنت آمل باستكشافنا كل الاحتمالات.»

نهضت ماغي ومشت في الغرفة قائلة: «تظن علينا إقامة علاقة غرامية؟»

قال: «تبدو كلمة علاقة غرامية دون معنى ورخيصة ما كنت لاستعملها أو أدعو ما بينا بذلك.»

«وماذا كنت لتدعوها؟»

«تفاهم.»

«يفترض بي ان اكون متفهمة لحقيقة انك لا تستطيع التفكير بي الا بعد تنظيم وجودك التعيس بالطريقة التي ترضيك. اهذا ما تقول؟»

«هذا تجاوز منك يا ماغي، فوجودي ليس تعيساً، أنت تغيرين من معنى كلماتي.»

«على احدهم فعل ذلك. فلا تبدو متحمساً للإدلاء بكلام ذي معنى.»

نهض دان وأخذ يذرع الغرفة ذهاباً وإياباً والارتباك يسيطر عليه من تحول الحديث بينهما هكذا وقال: «كل هذه المحادثة تبدو دون معنى لي.» ثم سألها: «ما الذي حدث هنا؟»

حسب رأي ماغي ما حدث هنا بالغ البساطة. لقد طلبت من دان الزواج منها فرد قائلاً، لا شكراً، على كل حال هو لا يعلم

انها سألت ولا انه رفض. ان كان غبياً لهذه الدرجة ولم يفهم ذلك فستكون غبية ان حاولت الشرح اكثر لذا قالت بهدوء: «إنسَ الأمر يا دان، فلديك الكثير لتقلق بشأنه حالياً، لم لا تعود إلى منزلك وتبدأ بالإعداد لذلك.»

كان هذا اسلوباً رقيقاً لطرده فهتف بصوت حانق: «اعود إلى منزلي؟ اتظنيني سأغادر الآن؟»

«يمكنك ذلك. فلم يبقَ ما يمكن مناقشته.»

«اعذريني لكني اعارضك الرأي، اظن هناك الكثير لمناقشته، اخبرتك انني احبك لكنك لم تتفوهي بكلمة عن الحب لي.»

«آه، لا، قلت انك تكترث كثيراً لأمري وانني قد اكون المرأة التي انتظرتها طيلة حياتك، لا اريد ان اكون في موقع الاحتمال غير المتأكد.»

سار عبر الغرفة وامسك بكتفيها وادارها لمواجهته، حدقت به وعيناها تقدحان نارا.

فقال بصوت هادىء: «احبك يا ماغي هيو، واعلم انك تحبيني بدورك سواء اعترفت بذلك أم لم تفعلي.»

تسارعت نبضات ماغي تحت لمسته، حرّرت ذراعها وضربته برفق على ذراعه قائلة: «انا لم اقل انني لن اعترف بذلك، انت لم تعطني الفرصة للقول.»

امسك بها ثانية وطالب: «إذن قوليها الآن يا ماغي، بصوت مرتفع وواضح النبرات كي لا يكون لدينا أي شك بذلك.»

ترددت للحظة قصيرة، لحظة رأى فيها دان الحقيقة داخل عينيها، فلم يتردّد في تقبيلها. وكانت الكلمات التي

همست بها بعد انتهاء قبلته بالكاد مفهومة وهي تردد: «احبك يا دانيال.»

ردّ دان قائلاً: «جيد، إذن كل شيء سينجح الآن يا ماغي، الآن نحن نعرف اين نقف.»

لكنها اصرت: «انا لازلت اجهل ذلك، ما هي شروط حبنا؟»

«لماذا نضع الشروط الآن؟ الا يمكنك تفهم مدى صعوبة وضع الخطط الآن بالنسبة لي في هذه المرحلة غير الواثقة من حياتي؟ لست مؤهلاً للتوصل إلى قرارات ذكية حالياً.»

ثارت ثائرة ماغي إذن فإن شيئاً لم يتغير، فقط الاعتراف بحب احدهما للآخر. هي لا تعرف ماذا تتوقع منه، لكنها تريد اكثر من قرار ذكي، تريد العاطفة لا المنطق البارد.

واجهها المحامي المنطقي البارد بقوله: «لا املك سجلاً جيداً حين يتعلق الأمر بالعلاقات العاطفية ولا ارغب بالتسرع بشيء ما الآن. الا يمكنك ان تكوني صبورة معي يا ماغي؟»

«الصهباوات معروفات بقلة الصبر.»

«كما وانهن معروفات بالعناد، قبل ايام قليلة كان من الصعوبة سحب كلمة لطيفة منك. فجأة تريدين مني اكثر مما استطيع اعطاءه، تباً يا ماغي لماذا تضغطين عليّ هكذا؟»

ردت بحدة: «لأنني لا ارغب بالانتظار لأكثر من هذا. كنت بانتظار الحب طيلة حياتي. انا في الثالثة والثلاثين واريد اختبار كل شيء قبل ان اصبح عجوزاً عاجزة عن التمتع بشيء، اريدك ان تحملني بقوة وتطلب مني القيام بكل ماهو غير منطقي، اريد ان اتزوجك وانشيء عائلة معك. تعبت من التفكير بالآخرين لذا سأفكر بنفسي ولو لمرة واحدة، واجه

الأمر يا لوكاس هذه المرة عليك اصطياد السمكة أو قطع الصنارة كلياً.»

ترك اعترافها هذا دان مشدوهاً، لم يسبق له معرفة شخص بمثل صراحة ماغي، أو بمثل الإغاظة التي تغيظه إياها ماغي فقال: «لا احب حشري في الزاوية يا ماغي.»

قالت بصرامة: «ولا أنا أرغب بحشر احدهم بها.» في الواقع كان هذا اصعب ما قالته في حياتها وهي تتابع: «بإمكاننا المتابعة هكذا للأبد الا ان قام احدنا بحركة ما، وها انا من يفعل.»

عبث دان بشعره بإحباط، كل هذه المناقشة كانت خارجة عن سيطرته فسأل: «وما الشيء الرهيب السيء الذي كان بمتابعتنا على هذا المنوال؟»

ردت ماغي: «لا شيء يا دان، لكن هذا لم يعد كافياً لي. ارفض القبول بأي شيء أقل من كل شيء.»

ابتسم قائلاً: «بإمكاني اعطائك أي شيء. لكني لست مستعداً بعد لاعطائك كل شيء.»

لم تضحك ماغي وقالت: «أرى اننا وصلنا إلى حائط مسدود وبظل هذه الظروف سيكون من الأفضل عدم رؤيتنا لبعض.»

تحداها قائلاً: «انت لا تقصدين هذا.»

«بل اقصده.»

احتج قائلاً: «هذا ليس بحل. فالعيد بعد أقل من اسبوعين، ماذا عن خطط العائلة؟»

«أدرك وجود مناسبات علينا بها التواجد معاً لكن ذلك لا يعني قضاء الوقت معاً على انفراد.»

«احبك يا ماغي.» ادرك ان عليه افهامها سبب رفض الزواج، لكن كيف بإمكانه ذلك وهي ترفض مجرد الاستماع اليه؟

قالت ماغي: «وانا احبك أيضاً، اظن هذا ينفي المقولة القائلة ان الحب يحل كل المشاكل.»

النبرة الساخرة لماغي جعلت دان يائساً فهتف: «لا اظن بإمكاني البقاء بعيداً عنك.»

«عليك ان تقرّر، فقد عرض عليّ عملاً في مدينة أوكلاهوما وسأقبل به.»

أذهل هذا الإعلان دان وسأل: «أي نوع من العمل؟»

«مديرة قسم التمريض في مصح جديد للأمراض المستعصية.»

غمره شعوره بارد وسأل: «منذ متى تعرفين ذلك؟»

«كنت افكر بالأمر منذ عدة اسابيع.» قالت ذلك بصدق لكنها لم تخبره ان مناقشة هذه الليلة هي التي دفعتها لاتخاذ قرارها النهائي.

سألها دان: «وهل هذا ما تريدينه حقاً؟»

«سبق واخبرتك بما اريد حقاً يا دان. هذا هو ما انا مستعدة للقبول به.»

ابتسم لها بالرغم من غضبها، لو تدري كم يحبها، في الماضي كانت كل جدالاتهما تنتهي بالعناق وتبادل القبل، فلماذا تكون هذه المرة مختلفة؟

سألته: «علام تبتسم؟»

«مع مخاطرة الظهور بمظهر من يردّد الكلام ذاته دوماً لكني كنت افكر كم انت جميلة وانت غاضبة.» ورفع يده كي

يلامس وجهها لكنها نفرت قائلة بحنق: «انت لم ترَ الغضب الحقيقي بعد يا لوكاس.»

اخذت تدفعه نحو باب الخروج، كيف يجرؤ على المرح اثناء غضبها؟ هو لم يكن يعتبرها أو يعتبر الوضع بينهما بجدية ولديه الجرأة لإخبارها بذلك. بهذه اللحظة هي تتمنى الا تراه ثانية، صاحت به: «إذهب ولا تعد.»

فقهقه قائلاً: «سأفعل، اتصلي بي غداً حين يهدأ مزاجك الناري ايتها الصهباء الفاتنة.»

«لا تحبس انفاسك، لعلي اعرف الاسعافات الأولية لكني لن انقذك ولو كنت على وشك الاختناق.»

بهذا صفقت الباب خلفه ونيران الغضب تتأجج داخلها.

الفصل الثاني عشر

بعد اسبوع وصل دان إلى مرحلة اليأس. دعا المرأتين وحفيده للمساعدة في تعليق زينة العيد. وصلت جيني وماثيو لكن ماغي لم تظهر. حمل الطفل ودخل إلى البهو كي ينزع معطف ماثيو.

خلعت جيني معطفها وعلقته في الخزانة قائلة: «لم ترضَ ماغي المجيء. لم تطلعني على ما قلته لها تلك الليلة لكن لم يسبق لي أن رأيتها بمثل هذا الغضب من قبل.»

«كلانا قال أشياء لا يعنيها.» قال دان ذلك وهو جاهل للمقدار الذي اطلعت ماغي شقيقتها عليه، لكنه على كل حال يرفض تحمل المسؤولية الكاملة عما حدث، ماغي بمثل عناده تماماً.

سارت جيني إلى غرفة الجلوس وسألت: «أين زينة العيد؟»

تبعها حاملاً ماثيو وقال: «ستصل قريباً.»

ضحكت جيني وقالت: «هل أرسلت الزينة في عطلة أو ما شابه؟ من أين يا ترى ستصل؟»

«لم أكن أملك أي زينة لذا استأجرت شركة التزيين التي زينت المكتب. لن تضطري للقيام بالكثير فعليك فقط ابداء رأيك الخبير.»

«منذ متى تعيش هنا؟»

فكر دان قليلاً وقال: «منذ ست سنوات.»

«وطيلة هذه الفترة لم تزيّن منزلك ولا مرة بمناسبة العيد؟»

«عادة أغادر البلاد في العطل. العيد لا يكون مهماً بعدم وجود عائلة تحتفل معاً، لذا كنت معظم الأحيان أذهب للتزلج في سويسرا أو يوتاه حيث أملك بيت هناك أتشاركه مع بعض المحامين الآخرين.»

سألت جيني: «ألا تهتم بالعيد؟»

«لم أشعر بالحاجة لذلك من قبل.»

«يسرني استقبالك للعائلة في العيد هذه السنة. لا يفترض بك قضاء العطلة وحيداً.»

اعترف قائلاً: «أشعر ببعض التوتر للقائي غاري قريباً.»

«لا تكن كذلك. ستحب ابنك بالمقدار ذاته الذي أحبه أنا.»

سار بها دان عبر المنزل وأخبرها بما أمر شركة التزيين به.

فصفرت جيني قائلة: «لا بد ان هذا سيكلفك ثروة.»

«في الواقع لا، مالك الشركة يدين لي بالمال وسيسر لحسم المبلغ من التكلفة. وأيضاً أظن ان الوقت قد حان للتمتع ببهجة الأعياد.»

ربتت جيني على ظهره موافقة وقالت: «وأنا كذلك أيضاً يسرني سماع قولك هذا. لكننا بحاجة للتحدث.»

صرخ ماثيو بين ذراعي دان: «لعبة يا جدّي.»

فتح دان باب الخزانة وأخرج العديد من الألعاب الصغيرة منها قائلاً: «خذ أيها الصغير، إلعب بما تشاء.»

وفيما انشغل ماثيو بذلك جلس دان وجيني على الكنبة وسألها: «عما علينا التحدث؟»

ردت جيني: «عن الكثير من الأمور، لكني وعدت ماغي بعدم التحدث عنها اليوم، على كل حال لا أستطيع منعك من فعل ذلك إن أردت. ما الذي حدث بينكما تلك الليلة؟ كنتما متفاهمين على أحسن حال.»

كان دان يفتقد ماغي بشدة ومجرد ذكر اسمها زاد من حنينه إليها فتنهد وقال: «لم يحدث شيء. كلانا ناضج كفاية ليعرف ان التعارف لمدة أسابيع فقط لا يصلح ليكون قاعدة لبناء المستقبل. لسنا أطفالاً والوقوع في الحب ليس الحل لكل شيء.»

«بل الحب هو الجواب على كثير من الأشياء.»

«أخشى أن قدرتي على معالجة الأزمات الحادة محدودة حالياً، علي التركيز على إعادة المياه إلى مجاريها مع غاري أولاً.»

«توقف عن خداع نفسك. لتكن لك الشجاعة لقول الحقيقة المجردة.»

سألها: «وما يعني ذلك؟»

ردت جيني: «اعترف بذلك. أنت جبان أمام فكرة التعهد بالالتزام، صحيح؟»

نهض دان وسار عبر الغرفة، لقد اقتربت جيني كثيراً من الحقيقة.

قال: «لم تحظ ماغي بحياة خاصة بها أبداً. تقول انها تريد أخذ فرصة العمل في مدينة اوكلاهوما، فتلك خطوة كبيرة في حياتها العملية.»

«تعرف تماماً ماذا تريد ماغي يا دان.»

«لا يسعني اعطائها ذلك.»

سألته جيني: «وما الذي يمنعك؟»

«هناك اعتبارات أخرى.»

«مثل ماذا؟»

«لنقل، نظرياً، انني ارتبطت رسمياً مع ماغي، ثم تحدثت مع غاري وقرّر هو الاستمرار بكرهي ورفض السماح لك ولماثيو برؤيتي. ماذا سيحدث حينها؟ هذه لن تكون نعمة عائلية.»

«ذاك لن يحدث.»

«وماذا لو حدث يا جيني؟ لا أستطيع الطلب من ماغي الابتعاد عن الشقيقة وابنها اللذين تحبهما بشدة.»

«أتحدث مع غاري ويستمع أحدنا للآخر دوماً لكن في النهاية كل واحد منا يتخذ قراراته الخاصة، ما تقوله مجرد عذر، وأنت تعلم ذلك.»

«هذا سيكون ضربة مؤلمة لحبنا وسيغمر سعادتنا الزوجية ببعض الحزن. لا أنوي الفشل ثانية.»

اتهمته جيني بالقول: «أنت خائف.»

«سمّه ما شئت، لا أحاول أن أكون نذلاً. أنا حقاً أحمل مشاعر قوية نحو شقيقتك لكن التوقيت غير مناسب اطلاقاً.»

«التوقيت يا دان مجرد رقم، مجرد تعبير يستخدم في المباريات الرياضية. التوقيت مهم حين ترغب بقول نكتة لا علاقة له إطلاقاً بالحب.»

«هذا شيء عليّ وماغي معالجته.»

«أعرف لكن يصعب علي الوقوف موقف المتفرج فيما أنتما تفسدان حبكما.»

«كوني لطيفة كفاية يا جيني بالسماح لي بمعالجة أزمة واحدة كل مرة. مثل مقابلتي لابني.»

www.elromancia.com

«سأتركك هذه المرة. لكني لم أنته منك بعد.»

«سأعتبر نفسي قد حذرت.» رد دان وهو يدرك ان جيني لن تستريح إلا حين تسير حياة من حولها حسبما تريد.

ابتسمت جيني وقالت فجأة: «آه، نسيت أن أنقل لك الخبر السار، لقد عرف غاري للتو انه تمت الموافقة على منحه منحة دراسية. وبالمال الذي جمعه جراء عمله في الاسكا سيتمكن من العودة إلى المنزل في عطلة العيد وأروع خبر انه لن يضطر للذهاب إلى آلاسكا بعد ذلك ثانية، سيبدأ دراسة القانون في كانون الثاني، (يناير) لذا سنضطر للانتقال إلى اوستن بعد العطلة مباشرة.»

«أنا سعيد لكليكما.» قال دان وهو يعرف انه سيشتاق كثيراً لهم وخاصة للصغير ماثيو وتابع: «هل يعني ذلك تبديل خطة قضاء العطلة؟»

«لا، فقد وافق غاري على قضاء العيد في منزلك، لكنه ليس بالغ السعادة لهذا. يعتقد انه تم التلاعب به.»

«أتفهّم ذلك.»

«كما وانه وعد ان يحسن التصرف. وأتوقع الشيء ذاته منك.»

«بوسعك الاعتماد علي يا جيني.» قال دان وهو يتنهد براحة لموافقة ابنه على قضاء العطلة مع عائلته ووالده خاصة في يوم العيد بالذات. وتابع: «أنا مسرور جداً لهذه الفرصة.»

«أعتمد عليك يا دان.»

رن جرس الباب معلناً وصول أفراد شركة التزيين وقضى دان وجيني الساعات القليلة اللاحقة بضبط حماسة

ماثيو فيما المنزل يتحول إلى كتلة خضراء براقة من الألوان والأضواء والزينة.

سرت جيني للنتائج وقبل أن تغادر ناولت دان نسخة من الصورة التي التقطتها له ولماغي أمسية الحفل وقالت: «ظننتك راغباً بالاحتفاظ بهذه الصورة.»

تناولها دان منها لكن الصورة غمرته بموجة من الندم، فوضعها في أحد أدراج مكتبه بعيداً عن نظره. هو لا يريد تذكير نفسه بالسعادة التي كانت ترفرف بينه وبين ماغي تلك الليلة. أو بما يمكن أن يكون قد خسر.

• • •

حين توقفت سيارة ماغي خارج منزل دان، التفتت ولم تجد سيارة غاري وجيني خلفها، فتمنت أن يكونا قد تأخرا لأجل تعبئة خزان الوقود. وتمنت ألا يكون غاري قد غير رأيه ثانية بشأن لقاء دان. كانت متحفظة حيال رؤيتها لدان لكنها وعدت جيني بمرافقتهم كي تؤمن الدعم المعنوي. فبما ان غاري كان شديد التردد بشأن لقاء والده فهم بحاجة لكل دعم معنوي ممكن.

حين رأى دان سيارة ماغي في الخارج سارع بمغادرة المنزل لاستقبالها. دق على زجاج السيارة وهتف: «ماغي؟»

أطفأت المحرك ونزلت من السيارة واتكأت عليها.

سألته: «ما الذي تفعله في الخارج هنا دون معطف؟ ستصاب بالانفلونزا.»

«أردت أن أقول لك...» توقف. كم أحبك؟ فجأة عادت مرارة الكلمات التي تبادلاها تلك الليلة إلى ذاكرته وأدرك ان

اعترافه سيكون دون معنى، إلى أن يتمكن من اعطائها وعد الزواج الذي تحتاج إليه، فأي كلمة أخرى ستكون غير عادلة.

أخذت ماغي نفساً عميقاً وانتظرت، لكن خاب أملها حين سمعته يقول بهدوء: «أردت أن أرحب بك وأقول لك عيداً سعيداً.»

رسمت ابتسامة مصطنعة على محياها وقالت: «اتمنى الشيء ذاته لك، وحظاً سعيداً مع غاري اليوم.»

شعر دان بالاحباط لنبرتها الرسمية الباردة، لكنه توقع الأسوأ. أراد تقبيلها أكثر من أي وقت مضى. لكن لا يمكنه فعل ذلك وهي متمنعة لهذه الدرجة.

«تبدو مضطرباً.» قالت محاولة البقاء في موقع المتجرد وهذا كان صعباً جداً. دون وجود غضبها ليحميها سيكون قضاء اليوم معه مريعاً.

«أنا مذعور. لا يجدر بالرجل الشعور بكل هذا الخوف من ابنه، الكثير الكثير يتعلق على قبول غاري بي.»

قالت محاولة اخفاء حزنها: «آمل لكما النجاح.»

قال دان: «الطقس بارد هنا، لندخل.»

«أتشوق لرؤية الزينة. تقول جيني انها رائعة.»

فتح الباب لها وقال: «بالبداية قلقت بأن تكون كثيرة لكن جيني تقول انها تناسب ضخامة المنزل.»

دخلت ماغي. نظرت حولها وأعربت عن اعجابها قائلة: «جيني على حق، انها رائعة فعلاً.»

«هذه السنة الأولى لي منذ سكني هنا ولا يمنحني الجيران جائزة أبشع منزل يفتقد للزينة.»

ابتسمت ماغي وسألت: «وما هي تلك الجائزة؟»

رد دان: «شيء بشع صغير عن ذاك الشخص الذي يكره العيد، يتركونه على عتبة المنزل دون أن يلفوه بالورق الملون حتى. وبما انه لم يسبق لي وضع الزينة أو الأضواء من قبل فكنت أحظى دوماً بالجائزة. كانت هذه نكتة في الحي بأكمله.»

«أظنك أثبت لهم العكس هذه السنة.»

«كان من دواعي سروري التخلص من سكروج العجوز.» قال وهو يناول ماغي فنجان قهوة سبق وأعده قبل وصولها: «سمعت انك بعت شقتك.»

كبحت ماغي رغبتها بلكمه على أنفه وسرت لحلول الانزعاج مكان حزنها السابق وقالت: «أجل، كنت محظوظة، لن يحتاجها المالك الجديد إلا بعد عدة أسابيع وهذا سيسمح لغاري وجيني فرصة ايجاد مكان مناسب في أوستن دون الحاجة للتسرع.»

«هل سلمت أوراقك في المستشفى؟»

وضعت ماغي فنجانها على الطاولة مصممة على عدم اظهار مدى ألمها أمامه وردت: «طلب مني مديري التريث وأخذ اسبوع إجازة خلال العطل للتفكير بأمر الانتقال. وافقت نظراً لوجود الوفير من الوقت. فالعمل الجديد لن يبدأ قبل شباط (فبراير).»

«إذن أنت فعلاً ستذهبين؟»

تملكه اليأس لفكرة خسارتها نهائياً. كيف سمح بحدوث هذا؟ كانت هذه غلطة من ضمن الأخطاء التي ارتكبها في حياته.

قال: «آمل ان يسعدك ذلك.»

ابتسمت له بجفاف، يسعدها؟ ليس من دونك. شعرت بغصة تعتصر قلبها فنهضت لتنظر من النافذة، هي لن تبكي الآن، لا! ليس أمامه! مجيئها إلى هنا كان خطأ فادحاً.

«آه جيد، ها قد وصل الأولاد.» ونظرت إلى دان الذي شحب وجهه بشدة. شعرت بلحظة عطف عليه لكنها عادت وهدأت نفسها متابعة: «أتود أن أستقبلهم أنا وأدخلهم إلى هنا؟»

أخذ نفساً عميقاً ونهض قائلاً: «الأفضل أن أفعل ذلك بنفسي.»

تحرّك بعزم وسار إلى البهو. وتنشق عميقاً وهو يخطو خارج عتبة المنزل.

«تفضلوا بالدخول، ادخلوا.»

هل بدا متلهفاً أو مشتاقاً؟

ظهرت جيني أولاً برفقة ماثيو وعانقت دان قائلة: «عيد سعيد يا دان.»

فرد آلياً: «ولك أيضاً.»

دخلت جيني وأصبح دان فجأة وجهاً لوجه مع الابن الذي لم يره منذ سنوات وسنوات مما جعل قلبه يعتصر لمجرد النظر إليه. كان غاري بمثل طوله تقريباً وله ذات الشعر والعينان الداكنتان. بهذه اللحظة كان الترقب يلفهما وتساءل دان إن كان غاري مضطرباً بشدة مثله.

لم يكن لدى دان أدنى فكرة عن طريقة الترحيب بإبنه الذي يكاد يكون نسخة مطابقة بالشكل له، شك بمقدرته على النطق أصلاً لدرجة الاختناق، كما شعر باللهيب في عينيه، بينما قلبه ينبض بعاطفة جامحة.

أيعقل أن هذا الشاب الطويل القامة هو الرضيع ذاته الذي كان يسترق النظر إليه عبر بوابة الحديقة؟ وغمره حزن هائل. فيما هو يقف هنا محاولاً ايجاد ما يمكن قوله رأى البريق في عيني غاري، فنسي دان حذره وارتباكه، لم يستطع التكلم لذا فقد أحاط ابنه بذراعيه وعانقه بقوة. ظل غاري متشنجاً بالبداية وكأنه يتردد بعناق دان. والصوت الوحيد الواصل إليهما صوت ثرثرة ماثيو وصوت ضربات قلب دان، وحين تفوه ماثيو بكلمتي: «جدي، بابا.» شعر دان بتبخر التشنج داخل ابنه. أحاط غاري بذراعيه عنق والده وتعلقا معاً كالناجين من العاصفة.

بعد لحظات طويلة افترقا وقال دان بصوت متهدج تخنقه العاطفة: «أنا مسرور جداً لوجودك هنا يا غاري. لا يمكن للكلمات التعبير عما يعنيه هذا اليوم لي.»

بدا صوت غاري مصدوماً وهو يقول: «هذه لم تكن فكرتي.»

رد دان: «أعلم ذلك، أعرف ان كل هذا من صنيع جيني لكني ممتن لموافقتك على مقابلتي ولإتاحة الفرصة لي لشرح ما حدث طيلة تلك السنوات الماضية.»

هز غاري كتفيه وقال: «لا أظن إعادة سرد الماضي فكرة جيدة.»

«ربما لا. لكني أريدك أن تعرف يا بني انه رغم عدم تواجدي قربك إلا انني لم أهجرك أبداً. لم يحدث الأمر على ذلك النحو.»

عانى غاري من عناق دان له لدقيقة أخرى قبل أن يتراجع خطوة عنه ويقول: «لقد أخبرتني جيني.»

دخلا إلى غرفة الجلوس حيث كانت ماغي بالانتظار ولاحظ دان الدموع المترقرقة في عينيها. حاول إخبارها أن مخاوفه الكبرى لم تتلاشى بعد وان يعطيها إشارة ما لكنها أشاحت ببصرها بعيداً.

حملت ماغي الشاحنة التي رماها ماثيو لها وحملت الطفل.

أعرب غاري وجيني عن إعجابهما بالزينة وعلقا على عدد الهدايا الموجودة في ركن الغرفة، استمع دان لهذا الحديث لبضع دقائق لكن الآن كان يتحرق لمحادثة ابنه بكل صدق وصراحة، وشعر بالراحة حين أخذت جيني الطفل وغادرت وماغي إلى المطبخ لتفقد الطعام كما قالتا.

قال دان: «شكراً مجدداً لقبولك المجيء إلى هنا يا غاري.»

«بإمكان جيني اقناع أي كان بما تريد كما أصبحت تعلم دون شك.»

«لديك زوجة رائعة وطفل فاتن. وأنا أدين بالكثير لجيني لجرأتها بالمجيء إلى هنا في البداية.»

اعترف غاري قائلاً: «غضبت حين علمت بهذا. وقد غضبت منك أكثر من غضبي من جيني.»

«وفقاً للظروف أنا لا ألومك على ذلك إطلاقاً.»

«شعرت بالخداع.»

طأطأ دان رأسه قائلاً: «أتفهم هذا.»

«حقاً؟»

«شعرت بهذا بالضبط حين رحل والدي هاجراً إياي ووالدتي، لكن صدقني يا غاري، أنا لم أهجرك.»

«هذا ما تردّده جيني دوماً. وقد اقنعتني بالنهاية بطرح هذا السؤال على والدتي.»

«وهل أخبرتك والدتك بما حدث بعد ولادتك؟»

أجاب غاري: «ليس بالضبط. بل شرحت لي ما تعتبره الأسباب الممتازة لتصرفاتها تلك.»

«أعرف انك ووالدتك واجهتما بعض الاختلافات بالرأي مؤخراً، لكنها والدتك ولا رغبة لدي بالتدخل بينكما. وأتمنى أن تدرك ان رواية دورين للقصة هي من وجهة نظرها.»

ضحك غاري بمرارة وقال: «أعرف والدتي تمام المعرفة وأدرك ذلك تماماً، لكني لم أكن مستعداً للمجيء إلى هنا وتصديق كل ما ستقوله لي أنت بدورك. لهذا ذهبت إلى طرف محايد.»

قطب دان وسأل: «من؟»

«جدي.»

«حصلت على القصة من آندرسون غاريت؟ وكم سيكون محايداً برأيك؟ هو لم يقل كلمة حق عني طيلة حياته.»

استرخى غاري على الكنبة وقال: «قد تتفاجأ. هل تعلم انه تعرض لنوبة قلبية؟»

«أجل، أخبرتني جيني.»

«انه في مستشفى العناية الآن، لا يستطيع التكلم كثيراً، لكنه يفهم ما يقال له. سألته عما إذا كان ما أخبرتني جيني به صحيحاً وقال انه كذلك. لا أعرف ما الدافع لكرمه المفاجيء ذلك، لكن لعله أراد تصحيح مسار ما فعله بعد كل تلك السنين.»

www.elromancia.com

غمرت دان موجة من الراحة، هو لم يتوقع يوماً أن يكون اندرسون غاريت الشخص الذي سيساعده على استرداد ابنه فقال: «أنا مسرور لمعرفتك الحقيقة أخيراً، آمل أن يحدث هذا فرقاً.»

ضحك غاري وقال: «أجل، الآن بدل اعتقادي ان والدي هو من خانني اكتشفت ان والدتي وجدّي هما من فعلا ذلك.»

«لا تكنّ ضغينة لذلك يا غاري، فذاك لا ينفع.»

«هذا ما قالته جيني.»

قال دان: «جيني بالغة الحكمة رغم صغر سنها.»

«أعرف، أنا محظوظ كونها زوجتي، وهي تقول انني محظوظ كونك والدي.»

ابتلع دان ريقه بصعوبة وقال: «إذن أين يتركنا ذلك؟»

رد غاري بصدق: «لا أعرف، لا يسهل الحصول على والد فجأة بعد واحد وعشرين سنة من العيش دونه.»

«أعرف استحالة تمكني من التعويض عن السنوات الماضية التي خسرناها، وأعرف ان العيش معاً مجدداً لن يكون سهلاً. لكن أتظن انك قادر على المحاولة؟»

ظل غاري صامتاً لفترة طويلة وخشي دان أن يكون الأوان قد فات فعلاً على تصالحهما.

حينها دخل ماثيو الغرفة وأخذ يشدّ بنطال دان قائلاً: «جدّي، احملني.»

رفعه دان آلياً وضحك الصغير. قبّل دان وجنته الرقيقة وقال: «عيد سعيد.»

قبّل ماثيو وجنة جدّه وتمتم: «سعيد.» ثم تحول الطفل إلى جهة والده رافعاً إليه ذراعيه ومتمتماً: «بابا، بابا.»

حمل غاري طفله وقال مبتسماً: «علمته وجيني هذه الكلمة ليلة البارحة، أليس هذا طفلاً نجيباً؟»

«انه عبقري.»

«أظن هذا وراثياً في العائلة.»

بحث دان في وجه غاري بحثاً عن دليل ما تفوّه به للتو وسأل: «هل تعني ذلك يا بني؟ بشأن ما قلته عن العائلة؟»

شد غاري ذراعه حول طفله وقال: «انه يستحق عائلة، ألا تظن ذلك؟»

لم يستطع دان الاجابة فقد عادت تلك الغصة إلى حنجرته. وكل ما استطاع فعله هو ان طأطأ برأسه موافقاً وتقبل عناق غاري الصادق.

مرت لحظات قبل أن يتمكن دان من التكلم فقال: «من الجميل ان تعود للمنزل يا بنيّ.»

«لم أعتقد انني سأقول هذا لكن وجودي هنا يسعدني.»

«لا تحمل الماضي ضد والدتك، كن أكبر من ذلك.»

سأله غاري: «لماذا تدافع عنها بعد كل ما فعلته بك؟»

«كانت أصغر سناً من جيني حين ولدت. لم تكن مستعدة للزواج. أنا أتفهم ذلك الآن.»

«سافرت والدتي إلى هاواي لقضاء العطلة. حين تعود قد أتحدث ثانية معها.»

«جيد، فماثيو بحاجة لكل عائلته.»

«غاري.» نادت جيني وهي تدخل الغرفة والاشراق ينير وجهها وهي تنظر إلى زوجها وعمها. حملت ماثيو وقالت: «هلا ذهبت ووالدك إلى السيارة وأحضرتما هداياناً؟ فماغي وأنا نعاني الأمرين بمنع ماثيو من تخريب شيء ما هنا.»

ابتسم غاري وغمز زوجته قائلاً: «طبعاً، لكن لا تضعي اللوم بفضولك على طفل بريء.» ثم نظر إلى دان متابعاً: «هي تعرف دوماً محتويات كل هدية قبل حلول العيد.»

ضربته جيني بخفة على ذراعه وقالت: «تحرك ولا تنسوا إحضار الطعام من صندوق سيارة ماغي.» ثم ناولت دان مفتاح السيارة.

قال دان: «أخبرتك يا جيني ان كل شيء سيكون جاهزاً. لقد أحضر متعهد الطعام كل الأطباق صباحاً وقد نفذت كل تعليماته بحذافيرها حيال تسخين الطعام وتحضيره. حتى انه أعد المائدة.»

ردت جيني: «أعرف فقد تفقدنا الأشياء في المطبخ. لكنه لم يعد الكعك المحلى، ولا الخبز بالتمر ولا فطيرة التفاح. ماغي وأنا فعلنا ذلك.»

ماغي! كانت ماغي مستقبله والآن بعدما حلّ معظم مشاكل ماضيه سيتمكن من فعل شيء حيال مستقبله. أخيراً أصبح حراً ومستعداً للارتباط بماغي، هذا إن لم يكن الوقت قد فات. يأمل ألا يكون قد استغرق وقتاً طويلاً بترتيب حياته التعسة، هو لم يحدد مكان والده بعد، لكنه سيؤجل تلك المشكلة إلى ما بعد حصوله على حب ماغي ودعمها.

الفصل الثالث عشر

احتاج دان وغاري إلى عشرين دقيقة تقريباً لنقل كل الحاجيات من السيارتين إلى داخل المنزل. ماثيو الذي يشعر بالملل أخذ يعبث بالهدايا البراقة وتلقى التعنيف من والدته.

حمل دان ماثيو وقال: «لنفتح هدايانا قبل أن يقوم هذا الشاب بفتحها عنا.»

أجلس ماثيو على الأرض بينه وبين ماغي وبدأ اعطاءه هداياه البراقة. كانت جيني مستعدة مع الكاميرا لالتقاط الصور فيما جدار من الهدايا يتجمع حول طفلها.

هدية دان من غاري، جيني وماثيو كانت كنزة محاكة على اليد مكتوب عليها الجدّ رقم واحد في العالم إضافة لصورة كبيرة لثلاثتهم معاً.

سأل دان جيني بدهشة وهو يضع الكنزة: «متى استطعت حياكة هذه الكنزة الرائعة لي؟»

«أثناء الليل وفي استراحة الغداء. وساعدتني ماغي.»

نظر إلى ماغي التي كانت صامتة تماماً فتظاهرت هي بالانشغال بماثيو ولم تبادله النظر.

قال دان لجيني: «شكراً لك. كنت أفكر بقضاء بعض الوقت مع ماثيو في الحديقة العامة وهذه الكنزة هي ما سأحتاج إليها بالطبع.»

مزقت جيني غلاف الهدية التي ناولها إياها دان بحماس وكان مكتوب عليها: «إلى جين وغاري.»

فقالت جيني: «انها لنا معاً يا حبيبي.»

قلبت جيني الورقة التي كانت هي الهدية وسألت بحيرة: «هل هذا عقد شراء منزل؟»

«أجل.» رد دان وتابع حين رأى نظرة الامتعاض في عيني غاري: «لأكثر من عشرين سنة حرمت من متعة اعطائك هدايا الأعياد. أرجوك لا تحرمني ثانية الآن من اهدائك شيئاً تحتاجه.»

احتج غاري قائلاً: «لا نستطيع قبول هذا.»

ردت جيني بسعادة وهي تضع العقد حول عنقها: «بل نستطيع.»

أخذ غاري العقد منها وحاول إعادته إلى والده.

فقال دان: «أرجوك، حين تنهي دراستك بإمكانك بيعه ورد المال لي إن شئت.»

جال غاري بنظره وقال: «أريد انجاز أموري بنفسي. لا أريد إعطاء عائلتي مالاً أستطيع تقديمه لهم. أخطط للقيام بالكثير من أعمال المحاماة حين اتخرج، وسأحتاج إلى العديد من السنوات قبل أن أتمكن من شراء منزل.»

رد دان بمرح: «أنت لم تره بعد. قد تدعوني بالبخيل حين تفعل. عرفت انك ستشعر هكذا لذا فقد أبقيت هذه الفكرة برأسي أثناء بحثي عن منزل مناسب لكم. انه منزل متواضع فيه غرفتي نوم فقط وقريب جداً من حرم جامعة اوستن.»

«لا أعرف ماذا أقول.» قال غاري وهو ينظر إلى جيني التي حاذرت ألا تتفوه بأي كلمة.

اقترح دان: «قل فقط شكراً يا والدي.»

كانت ماغي لتعانق دان لو لم تكن غاضبة بشدة منه لذا فقد اكتفت بحث غاري بقولها: «هيا يا غاري.»

رمته جيني بنظرة أمل درامية جعلته يبتسم ويقول: «حسناً تفوقتم علي بالعدد، شكراً يا والدي.»

«على الرحب والسعة يا بنيّ. سرّرت جداً لتمكني من فعل ذلك.»

«لا بأس، لكن لا تراودك فكرة القيام بشيء كهذا على الدوام.»

ضحك دان وأجاب: «لن أفعل. أعدك بعدم شراء المزيد من المنازل لك ولفترة طويلة.»

هتفت جيني: «واو! للحظة اعتقدت انني سأطرد من المنزل حتى قبل أن أدخله. شكراً يا والدي.» واستدارت تطبع قبلة على وجه زوجها وتابعت: «آه يا غاري أشعر بالحماس الشديد. أيمكننا الذهاب إلى هناك غداً لرؤية المنزل؟ علي قياس النوافذ لمعرفة حجم الستائر والأرجح انه سيكون بحاجة للطلاء. سنحتاج للقيام بأشياء كثيرة.»

«وأنا واثق انك لن ترحمي انني بتكرار هذه الأشياء يا جيني. لكن الأفضل لك استخدام كاميرتك الآن فانظري إلى ماثيو.»

كان ماثيو قد استغرق في النوم وسط كومة ألعابه الجديدة وحوله الأوراق البراقة وبين يديه كان قرده المحبب.

فيما كانت جيني مشغولة بالتقاط الصور ناول دان ماغي هديتها قائلاً: «آمل أن تعجبك يا ماغي.»

ارتجفت أصابع ماغي وهي تزيل الورقة البراقة. إن كانت الهدية قطعة مجوهرات فستخنقه. لكنها وجدت داخل العلبة شهادة شكر باسمها على الهبة السخية التي منحها دان باسمها طبعاً لمركز العناية الطبي الخاص.

«شكراً يا دان. هذه أروع هدية كان بامكانك تقديمها لي.»

«على الرحب والسعة يا ماغي.» ردّ دان وهو يفكر انه قبل أسابيع قليلة ما كانت هكذا هدية لتعني شيئاً له لكن ماغي غيّرت نظرته للحياة تماماً كما منحته جيني وماثيو بعداً جديداً لحياته بإعادة ابنه إلى أحضانه.

مررت ماغي لدان هديته وقالت: «أخشى أن هديتي ستبدو فقيرة أمام هديتك.»

فتح دان هديتها ليجد كتاب دليل الرجل الكسول للياقة البدنية. ومعه مجموعة كاملة من الأربطة الرياضية لليد والركبة وما إلى ذلك.

سرّ دان بشدة بهذه الهدية وقال: «أحب هذه الهدية. وأي ذكرى لنا معاً لن تكون يوماً باهتة أو ضعيفة. وآمل أن يكون لنا المزيد الكثير من تلك الذكريات.»

فاستدارت ماغي إلى غاري قائلة: «حسناً أيها الوالد أيقظ الوحش الصغير وسأحرس أنا المنطقة. بإمكان جيني مساعدة دان في المطبخ لحين ترتيبنا المكان هنا، وبعدها سنضع العشاء على الطاولة في غرفة الطعام.»

كان لماغي دافعاً مهماً لتسريع هذه العملية فكلما أسرعوا كلما غادروا منزل دان في وقت مبكر، لذا فقد أضافت: «أنا أتضور جوعاً.»

في المطبخ وقف دان قرب جيني التي اطفأت ساعة توقيت الفرن. حين استدارت لاحظ دان انها تبكي فمسحت جيني دموعها فوراً. سألها بقلق: «ما الأمر يا عزيزتي؟»

ردت بحرقة: «ما الأمر؟ انك تسمح لماغي بالهروب إلى مدينة اوكلاهوما، هذا هو الأمر.»

تناول دان الديك الرومي من الفرن وقال: «تعرفين أفضل من هذا يا جيني. لا أحد يملي على ماغي القيام بأي أمر فهي تقوم بما تريد.»

«ألن تحاول منعها من ذلك؟»

«بلى، لكن المحاولة هي الكلمة الأساسية هنا فهي لم تكن متجاوبة معي اطلاقاً اليوم.»

تمنى دان لو ان الأمور لم تصل لهذه المرحلة. فقد باعت ماغي شقتها وقدمت استقالتها وقبلت بالوظيفة الجديدة، لذا فقد تابع: «أيعقل انها تقوم بشيء أرادت القيام به دوماً.»

«بإمكانها القيام بما تريد هنا في دالاس. فقد استاء مديرها كثيراً من تقديمها استقالتها وعرض عليها استلام إدارة برنامج معالجة الأمراض المستعصية، والأمر لا يحتاج إلى عبقري ليعرف انها تفضل البقاء هنا، لكنها لا تستطيع البقاء لأنك جبان وتخشى من تجربة جديدة.»

«سأحاول اقناعها لكن ذلك لن يكون سهلاً.»

«أقنعها بالقوة إن احتجت لذلك.»

ردّ دان: «لربما علي القيام بذلك بالضبط.»

سألته جيني: «هل تحبها؟»

رد دان بقوة: «أجل.»

«جيد، هذا كل ما أردت معرفته.»

«الآن بعد اطمأنانك على كل شيء، هلا استدعيت شقيقتك إلى هنا من فضلك؟»

حيته جيني وغادرت الغرفة وهي تبتسم.

دخلت ماغي بعد لحظات وقالت بشك: «تقول جيني انك تريد محادثتي.»

«أريد ذلك أكثر مما تتصورين.»

«لا تلعب معي يا دان، فأنا لا أتمتع بفرحة العيد حالياً.»

«دعيني أعبر عن ذلك بطريقة أخرى... أحبك يا ماغي.»

تقلصت عينا ماغي وسألته: «ألم يسبق لي سماع ذلك؟»

تنهد دان فقد أوقعته تلك الجملة بالذات في المشاكل آخر مرة قالها لها لذا فليحاول بطريقة أخرى. قال: «خشيت الارتباط بك قبل الآن مخافة عدم نجاح الأمور بيني وبين غاري. كنت لأكون مسؤولاً عن تشتيت العائلة وكنت لتضيعي أنت وسط ذلك.»

قالت: «كان بإمكاننا حل تلك المشكلة معاً.»

«لكننا غير مضطرين لذلك الآن.»

قالت: «عائلة كبيرة سعيدة؟»

ابتسم دان، ان الأوان كما يبدو لم يفت بعد.

قال: «كلما كانت العائلة أكبر كان ذلك أفضل وسنناقش مسألة العدد لاحقاً.»

تردّدت ماغي للحظة لكن حين رأت بريق عينيه ذابت كل مقاومتها.

همست: «أحبك.»

«آه يا ماغي حين أفكر كيف كدت أن أفقدك يجن جنوني ويغمرني الذعر.»

فتح الباب فجأة: «آه، عذراً.» هتفت جيني وهي تتراجع: «تابعا ما تفعلان.» وغادرت مغلقة الباب خلفها ثانية.

سألها دان: «ألا زلت مصممة على تركي؟»

ربتت ماغي على وجنته وقالت: «هل تمزح؟ ولا الخيول البرية الهائجة ستبعدني عنك يا محامي تكساس العنيد.»

لاحقاً بعد تنظيف المطبخ جلس الرجال في غرفة الجلوس لمتابعة مباراة كرة قدم على شاشة التلفاز كانت جيني وماثيو جالسين قرب غاري على الكنبة فيما دان متمدداً على الكرسي.

عادت ماغي إلى الغرفة وهي ترتدي بذلتها الرياضية ونظرت إلى المجموعة الكسولة قائلة: «هل ستجلسون هكذا طيلة النهار تشاهدون التلفاز؟»

سألها دان: «هل لديك عرضاً أفضل؟»

«سأخرج للركض. أترغب بالانضمام إلي؟»

فقال: «طبعاً.»

كانت ماغي على الشرفة تقوم ببعض التمارين حين انضم دان إليها وسألها: «لم لا نذهب بنزهة في السيارة عبر الريف بدل الركض؟»

ردت: «بإمكاننا القيام بذلك غداً. ألن تقوم بالحركات الرياضية أولاً؟»

رد بإغاظة: «أنا تعب كفاية.»

فابتسمت قائلة: «مرن ساقيك يا دان، هيا.»

فأطاع وسألها: «متى ستخبرين أرباب العمل في اوكلاهوما عن رفضك العرض؟»

«لا مشكلة بذلك. سأتصل بهم غداً وأخبرهم انني بدلت رأيي.»

توقف دان عن التمرين وسأل: «وماذا عن الوظيفة الجديدة المعروضة عليك في المستشفى؟»

«مفترض بي اعطائهم ردي بعد عودتي من العطلة.»

سألها: «هل ستقبلين بها؟»

طأطأت برأسها وابتسمت قبل أن تنطلق للركض.

ركض دان قربها لبضع دقائق ثم قال: «ألا يمكننا... الابطاء... قليلاً؟»

هزت رأسها بالنفي وتابعت الركض.

كان يلهث الآن وقال: «ارحميني... ماغي.»

«تناولت الكثير من الأطعمة الدسمة اليوم، عليك حرق كل تلك الدهون ان أردت مواكبتي.»

نظر دان حوله ورأى حديقة عامة قريبة فأدرك انهم ركضوا لمسافة ميل تقريباً.

فهتف: «ان كنت تحبيني... فستخففين من السرعة.»

خففت ماغي السرعة حتى أصبحا يسيران على عجل وسمعته يقول: «هذا يعني... انك تحبيني... أجل؟»

أبقت نظرها مركزاً أمامها وطأطأت رأسها بالموافقة.

أمسك دان بذراعها وأوقفها وانحنى للأمام محاولاً التقاط أنفاسه اللاهثة.

ثم قال: «أردت الانفراد بك كي أتمكن من تقبيلك... الآن آمل انك تعرفين الاسعافات الأولية للنوبات القلبية.»

قالت بإغاظة وهي تجلس على العشب: «لا تقلق، سأعتني جيداً بقلبك. انه ليس بخطر من ناحيتي.»

استلقى دان على العشب وقال: «لماذا أنت هادئة هكذا؟»

ابتسمت له قائلة: «كنت أوفر أنفاسي كي أعطيك ردي.»

«رد؟»

«أنت تخطط لطلب يدي للزواج، لا؟»

ابتسم دان والسعادة الحقيقية تغمره للمرة الأولى بحياته وقال: «كان هذا سيكون الأمر الثاني. ففور استعادتي لأنفاسي كنت أسألك. والآن ما هو ردك؟»

«لا، لن تفعل. اطرح السؤال وستعرف الجواب بعد ذلك.»

قال: «لم أحضر الخاتم بعد.»

هزت ماغي كتفيها قائلة: «هذا غير مهم.»

فقال: «تخيلت طلب يدك للزواج على ضوء الشموع أثناء العشاء.»

«هذا غير مهم.»

«أنت محقة.» امسك يديها بين راحتيه وسأل: «ماغي هيو هل تشرفيني بقبول طلبي بأن تكوني زوجتي مدى الحياة؟»

همست: «أجل يا دانيال لوكاس سأتزوجك.»

ابتسمت ماغي وقالت: «لا تنظر الآن أيها الجدّ لكن هناك عشب في شعرك.»

ضحك دان قائلاً: «لا يهمني ذلك.»

أمسك بذراعها وسارا جنباً إلى جنب بطريق عودتهما إلى المنزل حيث قابلتهما بقية العائلة في البهو.

حين أعلن دان وماغي عن رغبتهما بالزواج حالاً لم تظهر الدهشة على جيني أو غاري فمن الواضح ان جيني قد عرفت وأخبرت غاري بذلك قبل عودة الحبيبين.

هز غاري رأسه وقال: «تهانينا يا والدي. لقد حصلت على امرأة مناسبة.»

«سنكون عائلة كبيرة سعيدة.» قالت جيني بسعادة عارمة وهي تعانقهما بفرح وتابعت: «ماذا سيدعوكما طفلي الآن؟ ليس ذلك فقط لكن ماذا سيدعونا أولادكما بدورهم؟ هذا قد يكون مربكاً.»

ابتسمت ماغي وقالت: «كان عليك التفكير بكل ذلك قبل قيامك بمحاولة التقريب بيننا.»

www.elromancia.com

ضحك دان وكانت هذه حقاً ضحكة رجل سعيد. قبل أقل من شهرين كان رجلاً وحيداً. الآن كان يقضي العيد مع ابنه، زوجته وحفيده. لكن الأفضل من كل هذا انه كان يقضيه مع ماغي. وقد يقضيان العيد القادم مع طفلهما.

تململ ماثيو بين ذراعي والدته وهتف: «جدي.»

ابتسم دان وحمله طابعاً قبلة حب على جبينه الصغير.

سألته ماغي: «ما سر هذا البريق في عينيك يا دان؟»

«أنا بالغ السعادة وأشعر بالرضى التام. الحياة جميلة وكل شيء بهذا العالم بالغ الروعة. لن أنسى ما حييت هذا اليوم، ولا شيء سيلطخ روعته.»

وافقته ماغي قائلة: «هذا ما أشعر به أنا أيضاً.»

قطع روعة هذه اللحظة صوت رنين جرس الباب. بما ان دان كان الأقرب إليه فقد فتح هو الباب ليظهر غريباً بملامح معروفة يقف على عتبته.

تنقلت عينا الرجل العجوز الزائر بين وجوههم جميعاً باحثاً عن اشارة ود. ثم وكأنه يجبر نفسه على الشجاعة أعلن: «عيد سعيد يا بنيّ! هذا أنا والدك.»

تمت